الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الرثاء في ديوان محمد العيد آل خليفة
دراسة فنية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبتين:
وداد خالد
سارة حملاوي

إشراف الدكتور:
مسعود بن ساري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــــدمة

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أنطق لسان الإنسان فأفصح بعجيب البيان، نحمده حمدا كبيرا من عبد معتوق بالعجز والتقصير، ونشكره على ما أعاننا عليه، ونشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له ولا مشير ولا ظهير له ولا وزير ونشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله البشير السراج، المنير المبعوث إلى كافة الخلق من غني وفقير ومأمور وأمير وبعد:

يعد فن الرثاء من الموضوعات البارزة في الأدب العربي عامة، إذ بكى الشعراء على من رحلوا عن الدنيا وطواهم الموت، وأيضا رثى الشعراء كل شيء زال وذهب سواء كانوا أشخاصا أو ملوكا وحضارة أو عمارة.

وفي الأدب الجزائري نجد مِن الشعراء مَنْ نظموا في غرض الرثاء فأجادوا، مثل الشاعر محمد العيد آل خليفة، وعليه فقد كان موضوع بحثنا "الرثاء في ديوان محمد العيد آل خليفة دراسة فنية". ويرجع سبب اختيارنا لهذا الموضوع لأهميته أولا، ثم لرغبتنا في دراسة الأدب الجزائري، والثالثة لتناسبه مع تخصصنا.

والإشكال الأساسي الذي تفرضه الدراسة هو: ما هي الملامح الفنية لغرض الرثاء عند الشاعر محمد العيد من حيث مضامينه ولغته وأساليبه؟

وعلى ضوء هذا الإشكال بنينا خطة بحثنا على فصلين؛ الفصل الأول: (مفاهيم أولية)، فصل نظري تناولنا فيه ثلاثة مباحث؛ المبحث الأول: ترجمة موجزة للشاعر، والمبحث الثاني: فن الرثاء وتطوره، والمبحث الثالث: مدونة غرض الرثاء. أما الفصل الثاني: (الدراسة الفنية) فقد تضمن أربعة مباحث؛ المبحث الأول: المضامين، المبحث الثاني: المعجم والأسلوب، المبحث الثالث: الصور والرموز، والمبحث الرابع: الموسيقى الخارجية والموسيقى الداخلية؛ أما الخاتمة فجاءت متضمنة التلخيص والنتائج المستخلصة.

ومن حيث المنهج فقد اعتمدنا المنهج الفني، لما رأينا فيه من ليونة ومناسبة في دراسة النصوص الأدبية، وهذا لا يعني أننا استغنينا عن المناهج الأخرى، فقد استعنا بالمنهج التاريخي في ترجمة الشاعر وتطور غرض الرثاء، وكذا بروح المنهج البنيوي والأسلوبي.

ومن بين المصادر والمراجع التي اعتمدناها في بحثنا هذا: ديوان محمد العيد آل خليفة، كتاب موسيقى الشعر لإبراهيم أنيس، كتاب النقد الأدبي الحديث لمحمد غنيمي هلال، كتاب علم العروض والقافية لعبد العزيز عتيق..

ومن الطبيعي أن واجهتنا بعض الصعوبات، خاصة في الدراسة والتحليل، حيث يتطلب البحث سعة معرفة في البلاغة والعروض والبلاغة والنحو والصرف وغير ذلك كنظرية الحقول الدلالية وعلم الأسلوب.. ولا شك أننا اجتهدنا واستعنا بالأستاذ المشرف، وكانت النتيجة أن تجاوزنا تلك الصعوبات.

وفي ختام بحثنا هذا نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الدكتور مسعود بن ساري، والشكر موصول إلى لجنة المناقشة، الذين تحملوا عناء القراء والتصحيح، وعلى قبولهم مناقشة مذكرتنا، ونشكر أيضا كل من ساعدنا على إتمام هذا العمل، وحسبنا من هذا البحث أنا اجتهدنا، والكمال لله وحده، وهو نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

مفاهيم أولية

المبحث الأول: ترجمة الشاعر

المبحث الثاني: فن النثر وتطوره

المبحث الثالث: مدونة غرض الرثاء

الفصل الأول: مفاهيم أولية

المبحث الأول: ترجمة الشاعر

1- مولده ونسبه

هو الشاعر محمد العيد بن محمد علي بن خليفة، "ولد بأم البواقي بالضبط في مدينة عين البيضاء بتاريخ: 28 أوت 1904م ما يوافق: 27 جمادى 1323هـ، عاش في وسط أسرة إسلامية محافظة على تقاليدها وثقافتها العربية، كما تتحرر أسرته من القبيلة العربية المحاميد التي سكنت ليبيا في العهد الفاطمي وانتقلت إلى الجزائر في العهد العثماني واستقروا بواد سوف في صحراء الجزائر في العهد العثماني واستقروا بواد سوف في صحراء الجزائر، انتقلت أسرته إلى مدينة عين البيضاء بأم البواقي مكان مسقط رأسه وذلك أواخر القرن التاسع عشر"[1].

وقد استقر والد الشاعر "محمد علي خليفة" في أحضان عين البيضاء وداخل أسرة عريقة بالتدين نشأ محمد العيد في جو أسري مليء بالتقوى والورع، حيث استهل التعليم بحفظ القرآن الكريم "حيث بدأ يتلقى المبادئ الأولى في العلوم الدينية واللغوية على يدي الأستاذين الشيخ أحمد بن ناجي الصائغي وكذلك محمد الكامل بن الشيخ المكي بن عزوز"[2].

2- تعلمه

وبعد فترة انتقلت أسرة محمد العيد آل خليفة إلى بسكرة سنة 1918م وكان آنذاك الشاعر غير متم حفظه للقرآن، فأتمه على يد أحد أئمة مساجدها وهو في سن الرابعة عشر "حيث تابع دراسته على يد المشايخ على بن إبراهيم العقبي والشريف المختار بن عمر اليعلاوي والجندي أحمد مكي"[3].

---

[1]- ينظر: محمد بن سمينة، محمد العيد آل خلفية، دراسة تحليلية لحياته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م، ص07.

[2]- المرجع نفسه، ص09.

[3]- أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة، ص86.

وقضى الشاعر ثلاث سنوات ببسكرة، أخذ فيها الكثير من أصول الفقه والتوحيد والمنطق والنحو، والكثير من العلوم الدينية التي كان يتابعها في مسجد القادرية والمسجد العتيق.

3- رحلته العلمية إلى تونس:

وفي سنة 1920 شد الشاعر الرحال إلى تونس، والتحق بجامع الزيتونة ونال الشهادة من هذه المنارة العلمية التي كانت لها شهرة دينية وثقافية في المغرب العربي، فأخذ الشاعر محمد العيد آل خليفة يتعمق في الثقافة قديمها وحديثها، كما كان يداوم "بصفة حرة على بعض الدروس في المواد العصرية كالحساب والجغرافيا بالمدرسة الخلدونية، كانت مكملة للزيتونة باهتمامها بالعلوم الحديثة"[1].

وقد دامت دراسته سنتين على أيدي كبار الشيوخ أمثال "عبد العزيز الباوندي" و"محمد مناشو" و"محمد الدامرجي" وغيرهم من علماء تونس فكان يأخذ عنهم العلم كما كان يأخذ عنهم "المؤثرات الشرقية التي كان يسمع عنها وهو صغير حول المحافظة والإصلاح وبما كان يشيع في الحياة العاملة من تيارات سياسية وثقافية وأدبية"[2].

4- نبوغه الشعري:

وعند عودته من تونس واستقراره ببسكرة وهو لا يزال متعطشا لطلب العلم، فوجد بعض "بوادر النهضة العلمية والأدبية النشطة يساهم فيها ويوجهها كوكبة من الكتاب والشعراء فاندمج في هذه الحركة، ويعلق على هذا فيقول: "في بسكرة فتحت عيني على النهضة الأدبية والعلمية، وتعرفت على بعض الأدباء، وكان لي معهم مساجلات أدبية ورسائل شعرية"[3]. ولقد كانت الانطلاقة الحقيقية للشاعر في الميدان الفني في الفترة التي عقبت عودته من تونس والذي يدل على غزارة إنتاجه وتمرسه فيه.

---

[1]- محمد بن سمينة، محمد العيد آل خلفية، ص11.
[2]- المرجع نفسه، ص12.
[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص51. بتصرف.

5- جهاده:

عاش محمد العيد –رحمه الله– أكثر من سبعين سنة مجاهدا بالقول والفعل جهادا متواصلا، مخلصا وفيا لوطنه وشعبه، وتجلى هذا في كل أشعاره التي تركها "وفي حياة محمد العيد وشعره وجهاده، وحياة إخوانه من المجاهدين الأوائل، وعبرة يعيد الغور، عميقة المغزى... في حياة أولئك لأبطال الرجال صفحات جديدة وإضاءة مشرقة يحق لجيل الاستقلال أن يعتز بها مرفوع الرأس"[1].

6- آثاره:

ترك محمد العيد العديد من الأعمال المجيدة، كما ترك سجلا هائلا بالأعمال الأدبية التي تخلد ذكراه في قلوب الأجيال الصاعدة وهي:

أ/ ديوان شعري ضخم تفوق صفحاته 600 صفحة من القطع الكبيرة، طبع أول مرة سنة 1967 وطبعته الثالثة سنة 1992 تناول فيه العديد من القضايا السياسية والوطنية والاجتماعية.

ب/ ملحق شعري بعنوان "العيديات المجهولة" وهي تكملة لديوان الشاعر جمعها وحققها بن سمينة محمد، تضم مجموعة كبيرة من الشعر المجهول للشاعر.

ج/ مسرحية شعرية بعنوان "بلال بن رباح" طبعت سنة 1983 بالمطبعة الجزائرية.

[1]- يحياوي الطاهر، توامي محمد، شعراء وملامح، مطبعة أمزيان الجزائر، ط1، 1984م، ص41.

المبحث الثاني: فن الرثاء

1- تعريفه:

جاء في لسان العرب أن الرثاء هو بكاء الميت إذ يقول ابن منظور في ذلك "رثى فلان فلانا، يرثيه رثيا ومرثية ‘ذ بكاه بعد موته، قيل رثا، يرثيه، ترثيه.. ورثوه الميت أيضا إذ بكيته وعددت محاسنه وكذلك إذ انضمت فيه شعرا"[1]. والرثاء من الفنون الشعرية الغنائية، يعبر فيه الشاعر عن حزنه وألمه وتفجعه لفقدان الحبيب سواء كان أخا أما أو ولدا.. وهو يتلون بألوان مختلفة تبعا للطبيعة والمزاج والموقف.

يقول عنه شوقي ضيف: "الرثاء هو البكاء على الأهل والأحبة حين يعصف بهم الموت، فيئن الشاعر ويفجع حينما يصدم في قلبه، بفقده أعز أبنائه أو آبائه وإخوته، فيتأذى من حتمية القدر القاسية فيبكي بالدموع والعبارات، وكثيرا ما تعجز هاته الأخيرة عن التخفيف عن الإنسان فتكون بذلك الكلمات والأشعار هي المنقذ الأخير للنسيان ومنه فالرثاء هو ندب الميت وتعداد مناقبه وخصائصه"[2].

2- تطور غرض الرثاء:

تعتبر الأمة العربية أكثر أمم الأرض ميلا للشعر واحتفالا به وبالشعر تخاطبوا وتعارفوا وسجلوا معظم العلوم والفنون وصورة آلامهم ونسجوا خيالاتهم وأحلامهم، وكان لهم مع الموت أبعاد ورؤى اختلفت وتعددت قبل الإسلام وبعده قالوا فيه ما يبكي ونظموا حوله ما يشفي ويريح النفس والفؤاد وجعلوه أحيانا غاية تتطهر به الروح وترتقي لذلك فإن شعر الرثاء العربي جاء متنوعا بتنوع هذه المفاهيم[3].

1/2- الرثاء في العصر الجاهلي:

ولا ريب أن الرثاء العربي جاء متنوعا بتنوع هذه الأمم الأخرى بصورة تشبه أن تكون سحرا حتى يطمئن الميت في مرقده ولا تصيب روحه لأحياء من ورائه بشر ثم أخذ يفقد هذه الغاية مع الزمن ومازال حتى انتهى إلى الصورة الجاهلية مع الإفصاح عن إحساس الناس العميق بالحزن قبل الموتى ومحاولة ذكرهم بتمجيدهم وبيان فصائلهم التي ماتت بموتهم مع

---

[1]- محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، مج1، مادة ر ث ي، ص1122-1123.
[2]- شوقي ضيف، فنون الأدب العربي الفن الغنائي، دار المعارف، مصر، دط، دتط، ص6.
[3]- عبد الرشيد عبد العزيز سالم، شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1982، ص6.

التفكير في القدر وقصور الناس ما نقش على قبور الأدواء والأقيال في اليمن والأمراء في حيزة وعند غساسنة في الشام فعلى قبورهم يكتبون أسماءهم وألقابهم تقليدا لذكرهم وتمجيدا لأعمالهم[1].

إذا ذكر الرثاء ذكرت معه الخنساء، لما لها من نصيب وافر من هذا الفن، وهي الأكثر تأثيرا وأرق إحساسا، وكانت لا تنظم شيئا يذكر قبل مقتل أخويها معاوية وصخر ولكن حين فاجأها نعيمها خرج الشعور من قلبها فياضا فقالت[2]:

يـــا عَـــينِ مـــا لَـــكِ لا تَبكـــينَ تَســـكابا ... إِذ رابَ دَهـــرٌ وَكـــانَ الـــدَهرُ رَيّابـــا
فَـــاِبكي أَخـــاكِ لِأَيتـــامٍ وَأَرمَلَـــةٍ ... وَاِبكـــي أَخـــاكِ إِذا جـــاوَرتِ أَجنابـــا
وَاِبكـــي أَخـــاكِ لِخَيـــلٍ كَالقَطـــا عُصَـــباً ... فَقَـــدنَ لَمّـــا ثَـــوى سَـــيباً وَأَنهابـــا
يَعـــدو بِـــهِ ســـابِحٌ نَهـــدٌ مَراكِلُـــهُ ... مُجَلبَـــبٌ بِسَـــوادِ اللَيـــلِ جِلبابـــا
حَتّـــى يُصَـــبِّحَ أَقوامـــاً يُحـــارِبُهُم ... أَو يُســـلَبوا دونَ صَـــفِّ القَـــومِ أَســـلابا
هُـــوَ الفَتـــى الكامِـــلُ الحـــامي حَقيقَتَـــهُ ... مَـــأوى الضَـــريكِ إِذا مـــا جـــاءَ مُنتابـــا
يَهـــدي الرَعيـــلَ إِذا ضـــاقَ السَـــبيلُ بِهِـــم ... نَهـــدَ التَليـــلِ لِصَـــعبِ الأَمـــرِ رَكّابـــا
المَجـــدُ حُلَّتُـــهُ وَالجـــودُ عِلَّتُـــهُ ... وَالصِـــدقُ حَوزَتُـــهُ إِن قِرنُـــهُ هابـــا

فنرى أنها لا تكلف في رثائها ولا تصنع ولا تميل إلى عرض الحكم العام المتبدلة، بل هي تكتفي بسرد عواطفها وما يشعر به قلبها لا ما يفكر به عقلها[3].

وطبيعي أن يتفوق النساء على الرجال في ندب الموتى والنواح عليهم لأن المرأة أدق حسنا وأرق شعورا.

2/2- الرثاء في صدر الإسلام:

نجد أن الرثاء تطور في العصر الإسلامي وأخذ يحمل معاني القرآن الكريم وروحه وظهرت مفردات جديدة مستمدة من روح العقيدة الإسلامية، من ذلك ألفاظ الشهادة والجهاد

---

[1]- شوقي ضيف، فنون الأدب العربي الفن الغنائي2 الرثاء، ص8.
[2]- الخنساء تماضر بن عمرو، ديوان الخنساء، شرح حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004م، ص13-14.
[3]- فؤاد أفرام البستاني، الشعر الجاهلي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، دط، 1927، ص24-25.

والجنة والنار[1]، وما إلى ذلك من مفردات دخلت الشعر الإسلامي بصورته الجديدة فتحدثوا سيرة لم تكن تعرفها الجاهلية، فيها المجد والتقوى والإيمان وفيها الخير والبر والوفاء وفيها الرحمة والهداية والتقاء وبهذه المآثر الكريمة والمناقب الأصلية كان مصبية الشعر حسان بن ثابت في فقد رسول الله وانتقاله إلى الملأ الأعلى حيث رثاه؛ بقوله مؤبنا[2]:

تَـــاللهِ مـــا حَمَلَـــت أُنثـــى وَلا وَضَـــعَت مِثـــلَ النَبِـــيِّ رَســـولِ الرَحمَـــةِ الهـــادي
وَلا مَشـــى فَـــوقَ ظَهـــرِ الأَرضِ مِـــن أَحَـــدٍ أَوفـــى بِذِمَّـــةِ جـــارٍ أَو بِميعـــادِ
مِـــنَ الَّـــذي كـــانَ نـــوراً يُستَضـــاءُ بِـــهِ مَبـــارَكَ الأَمـــرِ ذا حَـــزمٍ وَإِرشـــادِ

وكان لهذا التطور الذي شهده الرثاء في صدر الإسلام سواء بدخول مصطلحات جديدة أو برقي الأسلوب ونضج الفكر لدى الشاعر العربي أن ظهر لون جديد من الرثاء لم يألفه الشعر العربي من قبل هو رثاء الشهداء[3].

3/2- الرثاء في العصر الأموي:

وهذا عصر آخر ازدهر فيه الرثاء وانتشر بانتشار الحروب السياسية المتلاحقة والفتن التي ولدت مع هذه الدولة لتوليها الخلافة وتسلطها على الحكم، فظهرت الأحزاب السياسية وانتشرت الفرق الإسلامية بين رافض ومؤيد ومحايد، كالهاشميين والخوارج والأمويين؛ فأثروا تراثنا الشعري بأشعار كثيرة مقلدين تارة ومجددين أخرى ومن أشهر ما قيل في تلك الفترة مرثية من البحر الطويل في رثاء النفس لمالك بن الريب يقول فيها[4]:

أَلا لَيـــــتَ شِـــــعري هَـــــل أَبيـــــتَنَّ لَيلَـــــةً
بِجَنـــــبِ الغَضـــــا أُزجـــــي القَـــــلاصَ النَواجِيـــــا
وَلَيـــــتَ الغَضـــــا يَـــــومَ اِرتَحلنـــــا تَقاصَـــــرَت
بِطـــــولِ الغَضـــــا حَتّـــــى أَرى مَـــــن وَرائِيـــــا

---

[1]- شوقي ضيف، فنون الأدب العربي الفن الغنائي2 الرثاء، ص8.
[2]- حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، شرح وتقديم عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994م، ص66.
[3]- سامي مكي العاني، الإسلام والشعر، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دت، دط، ص136.
[4] - مالك بن الريب، ديوان مالك بن الريب حياته وشعره، تحقيق نوري حمودي القيسي، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، مج15، ج1، ص88.

أما رثاء صراع الأحزاب والفرق فقد اشتهر في رثاء حسان بن جعدة يرثي قتل الخوارج ومن بينهم قائدهم بسطاما حيث يقول[1]:

يـــــــا عـــــــين أذري دموعـــــــا منـــــــك تســـــــجاما
وابكـــــــــي صـــــــــحابة بســـــــــطام وبســـــــــاطا

4/2- الرثاء في العصر العباسي:

مازال الرثاء يتقدم بنا حتى نلتقي بالعصر العباسي عصر الرقي والفكر والتعميق في الإحساس والمشاعر[2]، وممن اشتهروا في ذلك العصر العباسي يعقوب بن الربيع وكان عشق جارية، وظل سبع سنوات يبدل فيها جاهه وماله حتى تملكها، فأقامت معه بضعة أشهر ثم ماتت فشعر أنه كان في حلم وأفاق منه على بؤس وله فيها ندب كثير منه[3]:

لله آنســـــة فجعـــــت بهـــــا ... مـــا كـــان أبعـــدها مـــن الـــدنس
أتـــت البشـــارة والنعـــي معـــاً ... يـــا قـــرب مأتمهـــا مـــن العـــرس
يـــا ملـــك نـــال الـــدهر فرصـــته ... فرمـــى فـــؤاداً غيـــر محتـــرس
كـــم مـــن دمـــوع لا تجـــف ومـــن ... نفـــس عليـــك طويلـــة الـــنفس
أبكيـــك مـــا ناحـــت مطوقـــة ... تحـــت الظـــلام تنـــوح فـــي الغلـــس
يـــا ملـــك فـــي وفيـــك معتبـــر ... ومـــواعظ يوحشـــن ذا الأنـــس
مـــا بعـــد فرقـــة بيننـــا أبـــداً ... فـــي لـــذة درك لملـــتمس

واستمرت الدولة العباسية تشرب نخب الحكم وتنشر الازدهار حتى توفي هارون الرشيد سنة 193. يقول أبو الشيص في رثائه وتهنئة ابنه وولي عهده ابنه محمد[4]:

جَـــــــــرَت جـــــــــوارِ بالسَـــــــــعدِ والـــــــــنَحسِ
فَـــــــــنحنُ فـــــــــي وَحشَـــــــــةٍ وَفـــــــــي أُنـــــــــس

---

[1]- إحسان عباس، شعر الخوارج، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دط، دتط، ص229.
[2]- شوقي ضيف، فنون الأدب العربي الفن الغنائي2الرثاء، ص19.
[3] - محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط3، 1997م، ج4، ص79.
[4]- أبو الشيص الخزاعي، أشعار أبي الشيص الخزاعي، تحقيق عبد الله الجبوري، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، العراق، دط، 1967م، ص70.

العَـــــــــينُ تَبكـــــــــي والسِـــــــــنُّ ضـــــــــاحِكَةٌ
فَـــــــــنَحنُ فـــــــــي مـــــــــأتم وَفـــــــــي عُـــــــــرس

كما انتشر في هذا العصر رثاء الأطفال والنساء وإن كان رثاؤهم من أصعب أنواع الرثاء كما يقول ابن رشيق القيرواني "من أصعب ألوان الرثاء أن يرثى الشاعر طفلا أو امرأة ليضيق الكلام عليهما وقلة الصفات فيهما"[1].

5/2- الرثاء في العصر الأندلسي:

وحتى إذا ما انتقلنا من شرق هذا الوطن إلى غربه لوجدنا الرثاء سوقا رائجة ودواوين كثيرة وبخاصة ما نظمه شعراء الأندلس حيث نهل شعراؤهم من معانيها أروع الألحان الحزينة بين رثاء الأهل ورثاء الزعماء والقادة أو رثاء لحال الأمة في مدن سقطت ومدن سقطت ومدن كانت من الماضي فبرز فن الرثاء وهو يحمل شخصية تعبيرية عن الآلام في فقدان النفس والوطن[2].. بل أصبح الرثاء عامة لجهة من الجهات أو لكامل بلاد الأندلس ومن ذلك ما قاله أبو البقاء الرندي في رثاء الأندلس[3]:

دهـــى الجزيـــرة أمـــر لا عـــزاء لـــه ... هـــوى لـــه أحـــد وانهـــد ثهـــلان
فاســـأل بلنســـيةً مـــا شـــأن مرســـية ... وأيـــن شـــاطبة أم أيـــن جيَّـــان
وأيـــن قرطبـــة دار العلـــوم فكـــم ... مـــن عـــالم قـــد ســـما فيهـــا لـــه شـــان
وأيـــن حمـــص ومـــا تحويـــه مـــن نـــزه ... ونهرهـــا العـــذب فيّـــاض ومـــلآن
قواعـــد كـــن أركـــان الـــبلاد فمـــا ... عســـى البقـــاء إذا لـــم تبـــق أركـــان
تبكـــي الحنيفيـــة البيضـــاء مـــن أســـف ... كمـــا بكـــى لفـــراق الإلـــف هيمـــان
علـــى ديـــار مـــن الإســـلام خاليـــة ... قـــد أقفـــرت ولهـــا بـــالكفر عمـــران
حيـــث المســـاجد قـــد صـــارت كنـــائس مـــا ... فـــيهن إلا نـــواقيس وصـــلبان
حتـــى المحاريـــب تبكـــي وهـــي جامـــدة ... حتـــى المنـــابر ترثـــى وهـــي عيـــدان

---

[1]- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1987م، ص154.
[2]- عبد اللطيف عيسى، شعر الرثاء في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، دار غيداء، الأردن، دط، دتط، ص20.
[3] - محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1990م، ج5، ص50.

6/2- الرثاء في العصر الحديث:

في العصر الحديث استعاد الشعر العربي قوته على أيدي عدد من الشعراء، استطاعوا أن يرفعوا مستواه إلى مرتبة مرموقة، وقد أخذ الشعراء يتعرضون في رثائهم إلى المناقب الاجتماعية وما أسداه المرثي لنفعه من وجوه وإصلاح بالنزعات السياسية والوطنية، ولم يعد الرثاء مطية للتقرب من الحكام بل أصبح رثاء بتناول الزعماء والشهداء الذين ماتوا من أجل تحرير أوطانهم[1]. وحتى الآن نسمع صوت من الإبداعات نداء الفداء لعلي محمود طه، يقول[2]:

أخـــي إنَّ فـــي القـــدس أختـــاً لنـــا أعـــدَّ لهـــا الـــذابحون المُـــدى
أَخـــي قُـــم إلـــى قِبلَـــةِ المشـــرِقَينِ لنَحمِـــي الكنيســـةَ والمســـجِدا
فَلســـطِينُ يَفـــدِي حِمَـــاكِ الشّـــبابُ فجَـــلَّ الفِـــدائِيُّ وَالمُفتَـــدَى

كما انتشرت أنواع كثرة في الرثاء كرثاء الزوجة ورثاء الصديق والزعماء وغيرها "ولئن ثابر الشعراء المعاصرون على العناية بهذا الباب فإنهم تحاشوا قدر استطاعاتهم التهويل والإغراق في التفجع وعبروا أحيانا عما يحسون بأساليب رقيقة وفنية"[3]. وهذا محمود سامي البارودي يرثي زوجته فيقول[4]:

يـــا دَهْـــرُ فِـــيمَ فَجَعْتَنِـــي بِحَلِيلَـــةٍ كَانَـــتْ خُلاصَـــةَ عُـــدَّتِي وَعَتَـــادِي

أما رثاء الأصدقاء فقد كانت له مكانة واسعة لدى هؤلاء فيرثى إبراهيم ناجي مثلا أحمد شوقي؛ فيقول[5]:

قـــل للـــذين بكـــوا علـــى شـــوقي النـــادبين مصـــارعهم الشـــهب
والهتافـــات لمجـــرد الشـــوق ولدولـــة الأشـــعار والأدب

---

[1]- عبد القادر شريط، فن رثاء المدن في الشعر المغربي القديم حتى نهاية ق5هـ، رسالة ماجيستر، إشراف محمد الأخضر الزاوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2005-2006م، ص16.
[2]- عبد الرشيد عبد العزيز مسلم، شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم، ص19،20.
[3]- جبور عبد النور، المعجم العربي دار العالم للملايين، بيروت، لبنان، دط، دت، ص180.
[4]- محمود سامي البارودي، ديوان البارودي، تحقيق وضبط وشرح علي الجارم وآخر، دار العودة، بيروت، لبنان، ج1، ص159.
[5]- إبراهيم ناجي، الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، دط، 1991م، ص63.

وهذه بعض الأنواع التي انتشرت في العصر الحديث وشاعرنا محمد العيد آل خليفة من هؤلاء الذين أبدعوا في الشعر.

المبحث الثالث: المدونة[1]: (المراثي)

رشيد

نعم لك في العلى عمل مجيد ... ولكن ما جزاؤك يا رشيد؟ رشيد
أمت على الصبى أسفا وحزنا؟ ... كذلك ينتج الضغط الشديد
علام (فرنسوا) يعلوك كعبا ... وأنت لمثله الكفؤ الوحيد
ألم تك يا رشيد له شقيقا ... زمان أبوكما العلم المفيد
وكنت بجنبه في الحرب لما ... أمض قواكما الجهد الجهيد
حياتك كلها مأساة حزن ... يشيب لهول منظرها الوليد
وموتك يا شهيد العدل ذكرى ... مؤثرة يلين لها الحديد
وقفت عليك أشعاري عظات ... بما أولى لك الدهر العنيد
ونحت عليك في ظلم الدياجي ... وهل يجدي نواحي أو يفيد؟
وإن تك قد قضيت العيش بؤسا ... فعند الله طالعك السعيد

الجيلالي

صفحة تحتوي علوا وفخرا ... سوف تبقى لابن الجزائر ذخرا
طويت بالمنون وهي رحى الخل ... ق فأعقبتها على الطي نشرا
ومحاها البلى فجددت منها ... رغم محو البلى سطورا وحبرا
صفحة من حياة أعظم شيخ ... كان في مطلع الجزائر بدرا
كان سمحا ملاطفا كان ثبتا ... كان شهما محافظا كان حرا
فأجد في ذكراه ما شئت وصفا ... إن ذكرى (محمد) خير ذكرى
إن ذكرى (محمد) نار موسى ... سوف يأتي من بعدها الخير يترى
فابن منها للناشئين ممرا ... وانح بالناشئين ذاك الممرا
فلهم فيه أسوة ان أرادوا ... أن ينالوا من صائب العلم قدرا
يا رجال الغد اجعلوه إماما ... فهو في العلم بالإمامة أحرى

[1] - محمد العيد، الديوان، ص408-444.

ابعثوا العلم مستمرين فيه ... إنه كان باحثا مستمرا
كان فيكم مؤلفا كان فيكم ... مغرما باللغى وبالكتب مغرى
هذه صفحة من المجد جددت ... فأجدوا لها صحائف أخرى
في حياة الماضين سفر عظات ... فادرسوه بالبحث سطرا فسطرا
ان قوما من الجزائر كانوا ... يملكون الجهات برا وبحرا
ولهم في الهدة وفي العلم شأن ... جاء قوم فأوجسوا منه نكرا
فرموهم بالشائنات وقالوا ... ما وجدنا لهم من السعي أمرا
وجلا البحث في الثرى عن تراث ... ستروه عن أعين الناس سترا
ويحهم يغمطون آثار شعب ... كان كالنجم مشرقا مشمخرا
كان للبحر مالكا حيث تجتز ... سفنهم فيه تعطه عنه أجرا
وقضى الله بالقضاء عليه ... لا حمى من قضائه لا مفرا
فتناءى عنه النعيم وأمسى ... خابي النور خالي الدور قفرا
كل يوم لله في الخلق شأن ... فعساه يديل بالعسر يسرا
هذه نفحة من الشعر هبت ... بك (عبد الرحمن) توليك شكرا
أو بكائي على تراث مضاع ... بدموع تنهل شفعا ووترا
أنت ذكرتني بمن كان فلكا ... سائرا يمخر المعارف مخرا
سار في العلم ناشئا ثم كهلا ... ثم شيخا ثم انتهى واستقرا
وقضى تاركا بنين كراما ... وشبابا في العلم يقفوه إثرا
فعسى الله خصه بالمعالي ... وحباه من طيب النزل وفرا
ما تقدم نفس الى الله من خي ... ر تجده خيرا وأعظم أجرا

رثاء شاعر النيل حافظ إبراهيم

قم عز مصر وعز الشرق أقطارا ... ففحل مصر خبا كالنجم وانهارا
خطب جرى في ضفاف النيل زلزلة ... وثار ملء جواء الشرق اعصارا
وطار كالبرق ينعى شاعرا لبقا ... الى أقاليم فيها صيته طارا

يا ويح مصر خلت (من حافظ) وخلا ... في الهامدين كأن لم يثوها دارا
كأنه لم يجدها كالحيا أدبا ... جما ولم يروها كالنيل أشعارا
يا موت فاجأت من لو ضفت ساحته ... مهلا لوفاك ترحيبا واكبارا
وطبت نزلا بأخلاق مهذبة ... أذكى بها النور للأضياف لا النارا
يا موت عدت بنفس خصبة نبتت ... فيها المبرات مثل الروض أنهارا
وغلت ليثا بجنب النيل كان له ... زأر به أوسع (التاميز) إنذارا
يا موت طفت من الأيدي على عضد ... فذ وحطمت في الأسياف بتارا
ونلت بالقطع في الأدواح باسقة ... زكت ظلالا وأفنانا وأثمارا
نزلت كالجيش في ثار أغار على ... أرض ثرية أمن تجهل الثارا
وانهلت كالسيل في سد تعرضه ... فاجتاحه وعلى أنقاضه سارا
ورحت تقتحم الدنيا كما اقتحمت ... دبابة الحرب أنجادا وأغوارا
كأنما أنت لم تستثن من أجل ... جابي المغارم لم يستثن ديارا
يا شاعرا حن بالفصحى ورن مدى ... كالطير زقزقة والعود أوتارا
عربت في مصر شمسا وارتجحت بها ... ركنا وصوحت في إكليلها غارا
أبعد ما كنت صدرا في محافلها ... وسدت أتربة فيها وأحجارا؟
نآى بك الموت عن اشهادها فدهى ... منهم قلوبا وأسماعا وأبصارا
طواك سفرا على الأخبار محتويا ... وبث نعيك في الآفاق أخبارا
أجلاك عن دار كتب كنت ناظرها ... وجارها فأراع الدار والجارا
قد عاود (البؤساء) اليوم بؤسهم ... فمن يواسيهم عطفا وإيثارا؟
ولم يتح (لسطيح) النيل راوية ... عدل كمثلك يروي عنه أسرارا
يا راحلا ونوادي الشرق تندبه ... ولهى وترفعه كالشمس مقدارا
بالله ما حال فكر كان غادية ... في فيضة ولسان كان قيثارا؟
وأين منه قريض صاغه نغما ... فهز مصرا به بل هز أمصارا؟
وأين عهدك بالدار التي عهدت ... منك المعري بالشكوى وبشارا؟
وكيف حالك في دار نزلت بها ... ضيفا عساك بها للخلد مختارا؟

عـــزاء مصـــر عـــزاء الشـــرق فـــي ملـــك ... ســـاس القـــريض فمـــا اســـتخذى ولا خـــارا
أقـــــام مأتمـــــه الـــــدنيا وأقعـــــدها ... ودام فيهـــــا عشـــــيات وأبكـــــارا
وفـــي الجزائـــر مـــن وجـــد بمأتمـــه ... هـــول عليهـــا طغـــى كـــالموج تيـــارا
وابـــن الجزائـــر بـــابن الشـــوق مـــرتبط ... وإن أحاطـــت بـــه الأشـــواك أســـوارا
يـــا رحمـــة الله هبـــي نفحـــة وهمـــي ... غيثـــا علـــى حـــافظ فـــي القبـــر مـــدرارا
فـــي ذمـــة الله لا أنســـاه ثانيـــة ... حســـبي بحبـــي لـــه عهـــدا وتـــذكارا

إلى روح شوقي

عجبـــا للـــدار، كيـــف تـــدور؟ ... نكـــب الشـــعر بهـــا والشـــعور
ذهـــب الشـــعر بهـــا حســـرات ... وعرتـــــه وحشـــــة ونفـــــور
فقـــد الشـــعر مـــن الشـــرق شمســـا ... لـــم يـــزل منهـــا علـــى الشـــرق نـــور
فقـــد الشـــعر مـــن الشـــرق ســـرحا ... طالمـــا غنـــت عليـــه الطيـــور
فقـــد الشـــعر أبـــا الشـــعر (شـــوقي) ... فطغـــا الويـــل بـــه والثبـــور
فمســـاري الهـــم منـــه غـــواض ... ومجـــاري الـــدمع منـــه بحـــور
أي بلـــوى مضـــة الوقـــع فيهـــا ... وهـــن الجلـــد وطـــاش الصـــبور
أيهـــا البـــاكي بمـــأتم (شـــوقي) ... أرأيـــت الـــنجم كيـــف يغـــور
أرأيـــت الصـــبح كيـــف يـــولى ... أرأيـــت الأرض كيـــف تمـــور
قـــم فعـــز الشـــعر بالشـــعر فيـــه ... فأيـــادي الشـــعر منـــه وفـــور
قـــف نـــودع راحـــلا لـــم يـــودع ... عـــذره أن المقـــام غـــرور
لا تخـــل أنـــا بظـــل حيـــاة ... نحـــن مـــوتى والقصـــور قبـــور
حاطنـــا دون الحيـــاة محـــيط ... وعلـــى جســـر الممـــات العبـــور
يـــا أميـــر الشـــعر عفـــوا فإنـــا ... قعـــد العـــي بنـــا والقصـــور
إن خلـــف البحـــر دور ائتنـــاس ... دب فيهـــا الحـــزن فهـــي ديـــور
رددت وقـــع الأنـــين الزوايـــا ... وتحلـــت بالســـواد الســـتور
فلأهليهـــا خشـــوع طويـــل ... ونفـــوس غيـــب وحضـــور

وقلـــــوب قلبـــــت وأكـــــف ... وخـــــدود خـــــددت ونحـــــور
يـــا أميـــر الشـــعر حســـبك ذكـــر ... قدســـي فـــي الحيـــاة طهـــور
علـــم الهـــاوين فـــي الـــدرك منـــا ... كيـــف تعلـــو فـــي الســـماء الصـــقور
لا تـــأذى بـــالبلى لـــك لحـــد ... دفـــن الحـــذق بـــه والبـــرور
يـــا أميـــر الشـــعر أيـــن غـــوان ... مـــا لهـــا الا حجـــاك خـــدور
أيـــن رصـــف محكـــم عبقـــري ... رفـــع المعنـــى بـــه فهـــو ســـور
ورواييـــات ســـرت كهربـــاء ... دنـــت البيـــد بهـــا والعصـــور
نفـــخ الصـــور بهـــا فـــي القـــوافي ... فعلتهـــا هبـــة ونشـــور
أتـــت الفصـــحى فرفـــت وزفـــت ... مثلمـــا يـــأتي الطيـــور البكـــور
وأضـــاءت حولهـــا فهـــي نـــار ... والـــورى موســـى وشخصـــك طـــور
ســـار فـــي الـــدنيا قريضـــك جيشـــا ... فلـــه زحـــف بهـــا وكـــرور
وصـــفا فـــي الـــذوق فهـــو لبـــاب ... مـــا عليـــه كاللبـــاب قشـــور
وعـــلا فاشـــتد فـــي الشـــعر ســـروا ... فغصـــون لدنـــة وجـــذور
وجـــلا الأبعـــاد مـــن كـــل أفـــق ... بصـــرا لا يعتريـــه حســـور
فتـــرا آي الشـــرق والغـــرب فيـــه ... وتلاقـــت بالســـهول الوعـــور
يـــا فـــؤادي لا ترعـــك العـــوادي ... خلـــق الـــدنيا أســـى وســـرور
عـــرف العشـــاق منهـــا بغيـــا ... فحضـــاة عنـــدها ودحـــور
لا أرى الأجســـام الا كســـفن ... مـــاخرات والقبـــور ثغـــور
وأرى الأرواح فيهـــا كركـــب ... فإنـــاث مـــنهم وذكـــور
فرفـــاق فـــي الـــذيول ذيـــول ... ورفـــاق فـــي الصـــدور صـــدور
فمقـــام نقمـــة وبلايـــا ... ومقـــام نعمـــة وأجـــور
ويـــك يـــا دنيـــا علتـــك الـــدعاوي ... فلأهليهـــا عليـــك ظهـــور
كـــم تعـــالى فـــي جوائـــك نمـــل ... وتـــردى فـــي زبـــاك هصـــور
لا تحلـــى لـــي هـــواك بقلبـــي ... فبقلبـــي مـــن هـــواك فتـــور
أيـــن شـــوقي أيـــن منـــه طـــروس ... مـــن قـــوافي حكمـــة وســـطور

أيـــن شـــوقي أيـــن منـــه خيـــال ... يســـبق الأريـــاح حـــين يثـــور
نضـــرة مـــن جنـــة الشـــرق ولـــت ... وتلتهـــا ذبلـــة وضـــمور
أيهـــا الشـــرق اعتصـــم بـــالتعزي ... فـــالتعزي عصـــمة وبـــرور
كتـــب المـــوت علـــى كـــل نفـــس ... والـــى الله تســـير الأمـــور

قصة شهيدين

شـــهمان فـــي الخطـــب لـــم يهابـــا ... ناداهمـــا الخلـــد فاســـتجابا
تلقيـــا فـــي الحشـــا رصاصـــا ... مفرغـــا للـــردى مـــذابا
فمـــن رأى عنـــد مـــا أصـــيبا ... رأى شـــهابا تـــلا شـــهابا
خـــرا إلـــى الأرض فـــي مصـــاب ... لـــم نحتمـــل مثلـــه مصـــابا
يـــا مـــودع الشـــهب فـــي تـــراب ... الشـــهب لا تـــودع الترابـــا
أخطـــط لهـــا فـــي الســـماء قبـــرا ... ووار أجرامهـــا الســـحابا
إن (العـــزيلات) قـــد أنـــارت ... لا ريـــب واستأنســـت رحابـــا
وجـــد فيهـــا البلـــى كـــأن لـــم ... تمـــض الـــدهارير والحقبـــا
ان الشـــهيدين قـــد ألمـــا ... بظلهـــا فـــازدهى وطابـــا
يـــا تربـــة أشـــرقت قبـــورا ... وأشـــرقت كـــالربى قبابـــا
ريـــح صـــن الخلـــد فيـــك هبـــت ... وعـــارض منـــه فيـــك صـــابا
يـــا واديـــا غـــب كـــل غيـــث ... يســـقي ربـــى حولـــه وغابـــا
أطفئـــى علـــى حافتيـــك نـــارا ... أتـــت علـــى الأنفـــس التهابـــا
واغســـل علـــى حافتيـــك أرضـــا ... مـــن الـــدماء اكتســـت خظابـــا
كانـــت مثابـــا لكـــل أمـــن ... فأصـــبحت لـــلأذى مثابـــا
إن انتخابـــا جـــرى بحيـــف ... فـــي دورهـــا أعقـــب انتحابـــا
تبـــت يـــدا حـــاكم غشـــوم ... يجـــر للأمـــة التبابـــا
بغيـــر جـــرم مـــن الأهـــالي ... علـــيهم ينـــزل العقابـــا
فهـــو الـــذي بالغثـــاء يلقـــي ... وهـــو الـــذي يوقـــد الثقابـــا
يـــا شـــاهرا لـــلأذى حرابـــا ... هـــل آن أن تغمـــد الحرابـــا

أشـــبهت وحـــش الفـــلا افتراســـا وفقتـــــه مخلبـــــا ونابـــــا
أخشـــــى الأذى يوقـــــع انفجـــارا عليـــــك أو يحـــــدث انقلابـــــا
يـــــا دولـــــة يعتـــــزي ذووهـــــا للعـــــدل والرحمـــــة انتســـــابا
نشـــكو إلـــى حكمـــك المـــؤاخي مـــن حـــاد فـــي حكمـــه وحابـــا
ممهـــد الســـلم شـــب حربـــا لـــو ابتلاهـــا الصـــبي شـــابا
وحـــارس الأمـــن عـــاث فيـــه وزاد فـــي حبلـــه اضـــطرابا
(الشـــرطة) اســـتكبرت وجـــارت وأصـــبحت تعـــدم الرقابـــا
أبـــت لفـــرط العتـــو منهـــا أن تســـمع اللـــوم والعتابـــا
فجـــدلت مـــن رمـــت ومـــرت كأنمـــا جـــدلت ذبابـــا
"بســـكرة" اليـــوم فـــي حـــداد أمســـت كأطلالهـــا خرابـــا
القتـــل والجـــرح فـــي حماهـــا خطبـــان باســـم الســـلام نابـــا
أخـــاف آرامهـــا البـــواكي تهـــيج آســـادها الغضـــابا
دم الشـــهيدين لـــم يعـــتم يستصـــرخ الأهـــل والصـــحابا
فأنصـــفي المشـــتكين فيهـــا وأرشـــدي الســـلطة الصـــوابا
العـــدل للأمـــن خيـــر بـــاب فـــلا تحلـــي ســـواه بابـــا

الوداع الوداع

مـــا أطـــول المـــوت باعـــا لـــم يخـــش حتـــى الســـباعا
ســـطا علينـــا بســـوط مـــن القضـــاء فراعـــا
وأودع التـــرب نجمـــا منـــه اقتبســـنا شـــعاعا
وصـــارما هاشـــميا بـــه هشـــمنا القلاعـــا
اليـــوم يـــا قلـــب فاهلـــك تحســـرا والتياعـــا
واليـــوم يـــا طـــرف فـــاذرف منـــك الـــدموع تباعـــا
أبـــك الـــزعيم المفـــدى أبـــك الأميـــر المطاعـــا
أبـــك الكـــريم المرجـــى أبـــك الغيـــور الشـــجاعا

أبـــــك الجليـــــل مزايـــــا أبـــــك الجميـــــل طباعـــــا
يـــــا شـــــعر إنـــــك أوفـــــى مـــــن صـــــان عهـــــدا وراعـــــى
إنـــــي أعـــــدك ظهـــــري وســـــــاعدي والـــــــذراعا
هلـــــم يـــــا شـــــعر فانجـــــب معـــــــي لـــــركن تـــــداعى
هلـــــم نـــــذكر فنشـــــكر (لخالـــــد) الســـــعي ســـــاعا
هلـــــم نـــــذكر فنشـــــكر (إقدامـــــــه) والـــــــدفاعا)
مـــــا للجزائـــــر فينـــــا لـــــم تـــــرع الا الرعاعـــــا
تجفـــــو الكـــــرام وتحنـــــو علـــــى اللئـــــام اتضـــــاعا
مـــــا للأناســـــي فيهـــــا يـــــأبون الا الخـــــداعا
ان صـــــادقوا فادعـــــاء أو صـــــاحبوا فانتفاعـــــا
هـــــل فـــــي الجزائـــــر حـــــر يـــــأتي الجميـــــل اتزاعـــــا؟
قـــــل للجزائـــــر أدي حـــــق الـــــزعيم المضـــــاعا
هـــــلا اصـــــطنعت جمـــــيلا لـــــدى الجميـــــل اصـــــطناعا
هـــــلا ذكـــــرت كفاحـــــا مضـــــى لـــــه وصـــــراعا
كـــــم ذاد عنـــــك وقاســـــى فيـــــك الأذى والنزاعـــــا
ســـــلي المطالـــــب كـــــم ذا اشـــــاعها وأذاعـــــا
وكيـــــف قـــــام فـــــوفى بالواجبـــــات اضـــــطلاعا
وكيـــــف نـــــاب وثوقـــــا بصـــــدقه واقتناعـــــا
وكيـــــف نـــــادى فـــــدانت لـــــه الـــــرؤوس اتباعـــــا
حتـــــى اذا طـــــار صـــــيتا وطـــــال فيـــــك ارتفاعـــــا
وبيـــــت الـــــدهر غيبـــــا لـــــه الخطـــــوب الفظاعـــــا
وقطبـــــت واكفهـــــرت لـــــه الوجـــــوه امتقاعـــــا
نـــــوى النـــــوى عنـــــك قطعـــــا ولا أقـــــول انقطاعـــــا
نزيـــــل (بيـــــروت) كـــــم ذا رجـــــوت فيهـــــا ارتجاعـــــا
كـــــم ذا رفعـــــت الشـــــكايا بليغـــــة والرقاعـــــا

كـــــم ذا ترقبـــــت فيهـــــا إجابـــــــــة واســـــــــتماعا

في ذمة الله يا خالد

ســـيذكرك الشـــعب دهـــرا مديـــدا فأنـــــــت لأبنائـــــــه والـــــــد
وأنـــــت- قريبـــــا لهـــــم وبعيـــــدا وحيـــــا وميتـــــا- لهـــــم قائـــــد
نـــــودع فيـــــك زعيمـــــا وحيـــــدا لنـــــا مجـــــده طـــــارف تالـــــد
خلـــــدت جميـــــل الثنـــــاء حميـــــدا ففـــــي ذمـــــة الله يـــــا خالـــــد!

رثاء غازي الأول ملك العراق

بغـــــداد كوكبهـــــا خبـــــا يـــــا شـــــؤم ذلـــــك مـــــن نبـــــا
نعـــــت الاذاعـــــة عـــــاهلا فيهـــــا تحـــــرر منصـــــبا
نعـــــت الاذاعـــــة "غازيـــــا" فخـــــر الشـــــباب الأنجبـــــا
ســـــيف العـــــراق المنتضـــــى وعقابـــــــــه المتوثبـــــــــا
وحمـــــى العـــــراق المرتجـــــى ولـــــــــواءه المتغلبـــــــــا
ومليكـــــه الشـــــهم الـــــذي أعيـــــا المنـــــافس مطلبـــــا
غـــــذى شـــــبيبته بـــــأل بـــــان العلـــــوم وهـــــذبا
وأعـــــد عســـــكره المغـــــا مـــــر للحـــــروب ودربـــــا
حـــــث العـــــراق الـــــى مبـــــا راة الشـــــــــعوب ورغبـــــــــا
فجـــــرى بـــــه شـــــوطا ول كـــــن القضـــــاء بـــــه كبـــــا
اليـــــوم حـــــق علـــــى الفـــــرا ت ودجلـــــــــة أن ينضـــــــــبا
اليـــــوم حـــــق علـــــى العـــــرو بـــــــة أن تنـــــــوح وتنـــــــدبا
يـــــا ذاهبـــــا كـــــاد الصـــــوا ب وراءه أن يـــــــــــــــذهبا
ذابـــــت جوانحهـــــا علـــــي ك تلهفـــــــــا وتلهبـــــــــا
أبكـــــى مصـــــابك مشـــــرق ال دنيـــــا وأبكـــــــى المغربـــــا
لـــــبس (الســـــواد) مـــــن الســـــوا د حـــــــــداده وتجلببـــــــــا
وبكـــــى المليـــــك الهاشـــــم ي الأريحـــــــــي الطيبـــــــــا

والفـــــارس الطيـــــار وال بطـــــل الجـــــريء المرعبـــــا
حفزتـــــه همتـــــه الـــــى غـــــزو الحمـــــام فمـــــا أبـــــى
ومضـــــى لـــــه كالليـــــث لا وجـــــلا ولا متهيبـــــا
فارتـــــد مطعـــــون المفـــــا تـــــل بالـــــدماء مخضـــــبا
يـــــا مـــــن رأى قصـــــر الزهـــــو ر (وروضـــــه) المعشوشـــــبا
هـــــذا خـــــلا مـــــن أنـــــس آ هلـــــه وهـــــذا أجـــــدبا
كشـــفت جـــواري القصـــر حـــس ن وجوههـــــا المتحجبـــــا
وبـــــرزن ينـــــد بـــــن الفتـــــى ال متعطـــــف المتحـــــدبا
لـــــو كـــــن يملكـــــن الفـــــدا ء فدينـــــه أن ينكبـــــا
لابـــــد للـــــنجم المـــــن يـــــر شـــــعاعه أن يغربـــــا
لا حـــــي بـــــاق فـــــي العبـــــا د ولـــــو علـــــى الشـــــمس احتبـــــى
أيـــــن ابـــــن داوود الـــــذي تخـــــذ العواصـــــف مركبـــــا
ودعـــــا الوحـــــوش فأقبلـــــت تســـــعى اليـــــه الهيـــــدبى
والطيـــــر فـــــي ديوانـــــه تحنـــــى الـــــرؤوس تأدبـــــا
والجـــــن تخـــــدم ملكـــــه وتخافـــــه أن يغضـــــبا
فســـــبا بـــــذلك لـــــب (بـــــل قـــــيس) التـــــي ملكـــــت ســـــبا
لـــــم يبـــــق منـــــه ســـــوى حـــــدي ث مـــــن وعـــــاه تعجبـــــا
(بغـــــداد) يـــــا أخـــــت (الجـــــزا ئـــــر) يـــــا ربيبـــــة (يعربـــــا)
وريثـــــة (المجـــــد) المـــــؤثث ثـــــل فـــــي (دمشـــــق) ويثربـــــا
إنـــــا وان ســـــقنا الرثـــــا ء اليـــــك منـــــا مســـــهبا

عزاء لتركيا

هـــــوى مـــــن أفقـــــه البـــــازي صـــــريعا أم قضـــــى (الغـــــازي)
قضـــــى اليـــــوم أبـــــو التـــــرك فمـــــن ذا لابنـــــه العـــــازي؟
وأودى (مصـــــطفى) المـــــوت بســـــيف غيـــــر هزهـــــاز

تـــولى (مصـــطفى) عمـــن تـــــولاهم بـــــإعزاز
قـــد انحـــاز الـــى كـــون عـــن الضوضـــاء منحـــاز
وأبقـــى وهـــو مجتـــاز ثنـــاء غيـــر مجتـــاز
تحـــدى قـــادة الغـــرب فأعيـــاهم بإعجـــاز
فلـــم يلحـــق بـــه (الدتشـــي) لـــدى البـــأس ولا (النـــازي)
أعـــزي تركيـــا فـــي مـــس تخـــف بـــالردى هـــازى
أعـــزي تركيـــا فـــي قـــا ئـــد للحـــرب نهـــاز
أعـــزي تركيـــا فيـــه وأرثيـــه بإيجـــاز
ســـيجزي ســـعيه التـــاري خ مـــا لـــم يجـــزه جـــاز

رثاء رشيد بطحوش

جـــوانحي فـــي التهـــاب وأدمعـــي فـــي انســـكاب
أصـــبحت ولهـــان مضـــنى فـــي لوعـــة واكتئـــاب
مروعـــا لـــيس يـــدري غيـــر الإلاه بمـــا بـــي
الحـــزن مـــلء فـــؤادي والســـقم مـــلء اهـــابي
أوشـــكت أفقـــد رشـــدي مـــن الأســـى وصـــوابي
وا حســـرتي وبلائـــي ونكبتـــي وعـــذابي
فقـــد (الرشـــيد) دعـــاني لصـــرختي وانتحـــابي
فقـــد (الرشـــيد) رمـــاني مـــن الجـــوى فـــي عبـــاب
فقـــد الرشـــيد مصـــاب مطـــأطئ للرقـــاب
فقـــد الرشـــيد مصـــاب يـــا هولـــه مـــن مصـــاب
يـــا صـــاحبا كـــان عـــوني ومؤنســـي فـــي الصـــحاب
يـــا ذاهبـــا أتمنـــى لحاقـــه فـــي الـــذهاب
أحـــس بعـــدك نفســـي فـــي وحشـــة واغتـــراب
العـــيش بعـــدك أســـمى فـــي مطعمـــي مثـــل صـــاب

تبـــــا لـــــدار غـــــرور خداعـــــــة كالســـــــراب
ويـــــح ابـــــن آم يلهـــــو والمـــــوت منـــــه كقـــــاب
المـــــوت نـــــوء ريـــــاح والمـــــرء عـــــود ثقـــــاب
لا بـــــد أن ســـــوف يخبـــــو كـــــل امـــــرء غيـــــر خـــــاب
يـــــا ســـــاقي الـــــود صـــــرفا كمثـــــل مـــــاء الســـــحاب
قـــــد كنـــــت للنـــــاس ســـــلما فـــــي وصـــــلة واجتنـــــاب
وفـــــي "الشبيبة"عضـــــوا مستســـــــهلا للصـــــعاب
احطتهـــــا بافتقـــــاد وصـــــنتها بارتقـــــاب
تبكـــــي "الشبيبة"عضـــــوا مـــــلأ لئـــــا كالشـــــهاب
خبـــــا فأحـــــدق ليـــــل باارهـــــا والرحـــــاب
قـــــد أنشـــــب المـــــوت فينـــــا أظفـــــاره كالعقـــــاب
فافتـــــك عضـــــو نشـــــاط منـــــا وعضـــــو اكتســـــاب
فيـــــا رشـــــيد وداعـــــا اليـــــوم يـــــوم الغيـــــاب
اليـــــوم كالشـــــمس تمســـــي وتختفـــــي بالحجـــــاب
اليـــــوم تغـــــدو رهينـــــا موســـــدا للتـــــراب
اليـــــوم تســـــتل منـــــا كصـــــارم مـــــن قـــــراب
كـــــان احتضـــــارك بشـــــرى لنـــــا بصـــــدق الكتـــــاب
لقيـــــت ربـــــك تصـــــغى لآيـــــه فـــــي الكتـــــاب
لقيـــــت ربـــــك هشـــــا بشـــــا وديـــــع الجـــــواب
لقيتـــــه بثبـــــات لـــــم تلقـــــه باضـــــطراب
لقيتـــــه بيقـــــين لـــــم تلقـــــه بارتيـــــاب
والشـــــهر شـــــهر صـــــيام وقربـــــة واحتســـــاب
وليلـــــة القـــــدر منـــــا د آذنـــــت بـــــاقتراب
فمـــــل لأبـــــرد ظـــــل ولـــــذ بـــــأعلى جنـــــاب
آواك ربـــــك فـــــاغنم مـــــا عنـــــده مـــــن ثـــــواب

فـــــــي جنـــــــة ذات دور رفيعـــــــــة وقبـــــــاب
محمـــــــد لـــــــك جـــــار وشـــــافع فـــــي الحســـــاب
فـــــاركن لـــــه وتمتـــــع مـــــن حوضـــــه بالشـــــراب
يـــا فـــوز مـــن طـــاب ذكـــرا ونـــــال حســـــن المـــــآب

يا قبر

يـــا قبـــر طبـــت وطـــاب فيـــك عبيـــر هـــل أنـــت بالضـــيف العزيـــز خبيـــر؟
هـــذا (ابـــن بـــاديس) الامـــام المرتضـــى (عبـــد الحميـــد) الـــى حمـــاك يصـــير
العـــــالم الفـــــذ الـــــذي لعلومـــــه صـــــيت بـــــأطراف الـــــبلاد كبيـــــر
بعـــث الجزائـــر بعـــد طـــول ســـباتها فالشـــعب فيهـــا بالحيـــاة بصـــير
وقضـــى بهـــا خمســـين عامـــا كلهـــا خيـــر لكـــل المســـلمين وخيـــر
ومضـــى اليـــك تخصـــه بثنائهـــا وإليـــه مـــن بـــين الرجـــال تشـــير
(عبـــد الحميـــد) لعـــل ذكـــرك خالـــد ولعـــل نزلـــك جنـــة وحريـــر
ولعـــل غرســـك فـــي القـــرائح مثمـــر ولعـــل وريـــك للعقـــول منيـــر
لا ينقضـــى حـــزن عليـــك مجـــدد وأســـى لـــه بـــين الضـــلوع ســـعير
نـــم هادئـــا فالشـــعب بعـــدك راشـــد يخـــتط نهجـــك فـــي الهـــدى ويســـير
لا تخـــش ضـــيعة مـــا تركـــت لنـــا ســـدى فـــالوارثون لمـــا تركـــت كثيـــر
نفحتـــك مـــن رحمـــات ربـــك نفحـــة وســـقاك عيـــث مـــن رضـــاه غزيـــر

دمعة منهمرة على فتاة منتحرة

أذرت عليـــك دموعهـــا الانـــداء يـــا زهـــرة عصـــفت بهـــا النكبـــاء
مـــاذا دهـــاك مـــن الحيـــاة فعفتهـــا وعرتـــك فيهـــا نظـــرة ســـوداء
ألقيـــت نفســـك مـــن شـــفير شـــاهق يخشـــى الوقـــوف بجنبـــه الجـــرآء
مـــا هابـــه الليـــث الهصـــور مـــن الـــردى قـــدرت عليـــه الظبيـــة الهيفـــاء
صـــدمتك مـــن وادي الرمـــال صـــخوره وطـــواك منـــه لـــدى الهـــوي هـــواء
وســـقطت صـــرعى لـــم يقلـــك فـــي الثـــرى فـــرش ولـــم يســـدل عليـــك غطـــاء

وقضيت لا قربى تحوط ولا يد ... تأسو ولا عطف ولا إدناء
فبكتك في (سرتا) ظباء كناسها ... وشبولها وغياضها الغناء
وتساررت فيها بنعيك ورقها ... ورقاء تهدل إثرها ورقاء
أسفي عليك ذوى شبابك فجأة ... قبل الجنى وجنى عليه جفاء
ضاقت بك الدنيا بما حبت فما ... وسعتك أرض أو وقتك سماء
وأجلت طرفك في الوجوه جميعها ... فاذا الضياء أمامه ظلماء
فسخوت بالدنيا وزهرتها لمن ... في البؤس عز بها عليه سخاء
الموت جاءك خاطبا فرضيته ... زوجا وباء بصدك الخطباء
فزففت في عرس لزوجك ... صاخب لكن خضابك يا عروس دماء
أما صداقك يا عروس فلوعة ... حرى تذوب بنارها الاحشاء
وفجيعة بك يا عروس وجيعة ... نكبت بها الأهلون والقرباء
لا أستبيح لك التردي إنه ... رغم اضطرارك زلة نكراء
لا أستطيب لك الردى ولو أنه ... لك من جميع النائبات وقاء
في كل كارثة لكل موحد ... أمل له في كشفها ورجاء
من كان مرتكز اليقين فعسره ... يسر عليه وبؤسه نعماء
ماذا جنت أم جبتك حنانها ... وأب عليك له يد بيضاء؟
مستهما الضراء منك أليمة ... ودهتهما من بؤسك البأساء
فكلاهما آس عليك وآسف ... قد برحت بحشاهما البرحاء
أخطأت رأيا في انتحارك إنه ... ذنب يشين وفكرة حمقاء
ليس انتحارك كان رزءا واحدا ... في وقعه بل إنه أرزاء
ما كان حل المشكلات بحادث ... للنفس فيه على الشقاء شقاء
إني وقفت عليك وقفة شاعر ... أرثيك إن أجدى عليك رثاء
متحسرا ومن التحسر ندبة ... ومعاتبا ومن العتاب بكاء
عرضت عرضك للظنون وعسفها ... إن الظنون مطية عمياء
أزرى بعرضك ما يقال توهما ... ولعله مما يقال براء

وأصـــاب نفســـك مـــا يجـــل مصـــابه ولعـــــل نفســـــك للنفـــــوس فـــــداء
ولعـــــل رزأك نوبـــــــة نفســـــية أوعثـــــرة فـــــي الســـــير أو إغمـــــاء
أو لفحـــة بـــك فـــي ذكائـــك أحرقـــت منـــك الحجـــى ومـــن الـــذكاء ذكـــاء

تتأبين الشاذلي خندار

ســـاءنا رزء بـــه الـــدهر رمانـــا فأمانـــا أيهـــا الـــدهر أمانـــا
لـــم يـــزل يمعـــن فـــي محنتنـــا ويعادينـــا ملحـــا فـــي أذانـــا
هـــل لـــدينا لـــك ثـــارات خلـــت لـــم تـــزل تطلبهـــا آنـــا فآنـــا؟
كلمـــا ألفيـــت منـــا غـــرة ثـــرت للزحـــف علينـــا ثورانـــا
ومتـــى اغتلـــت فلانـــا لـــم تكـــد تنتهـــي إلا لتغتـــال فلانـــا
مـــن بنـــاة المجـــد فـــي تاريخنـــا وذوي الإنتـــاج علمـــا وبيانـــا
ضـــاقت الأرض علـــى أحرارهـــا فغـــدا الرحـــب علـــيهم كشـــتبانا
فقـــدوا أنـــدادهم فاسترخصـــوا عيشـــهم واستوحشـــوا منـــه عيانـــا
واســـترابوا فـــي المرائـــي فمتـــى أبصـــروها لـــم يـــروا إلا دخانـــا
آه ممـــا حـــل بالخضـــراء مـــن فـــاجع كـــل عزيـــز فيـــه هانـــا
فقـــدت تـــونس مـــن آفاقهـــا كوكبـــا قطبـــا وبـــدرا إضـــحيانا
أيـــن منهـــا الشـــاذلي المرتضـــى خزنـــدار الســـمح كفـــا وجنانـــا

فقدنا مليكا

لـك الويـل مـن نعـي بـه هتـف البـرق فريـع لـه الإسـلام واضـطرب الشـرق
ورده المـذياع مـن كـل مـوطن فصـمت بـه الآذان واحتـبس النطـق
وفاضـت بـه أنهـار كـل صـحيفة كمـا فـاض مـن آماقنـا دمعهـا الـودق
فقـدنا مليكـا عـادلا ظهـر الهـدى بإنصـافه فـي الحكـم وانتصـر الحـق
أقـام حـدود الله بالسـيف وازعـا وبالـدين قانونـا فـدان لـه الخلـق
وحـاط حجـيج البيـت بـالأمن بعـد مـا عشـا فـي الحجـاز البـدو وانسـدت الطـرق
وشـق الثـرى واسـتخرج المـاء دافقـا بكـل النـواحي لا يكـف لـه دفـق

عزاء في فجيعتنا

رمـــاني بالأســـى ســـهم معـــادي ... أصـــاب بنـــي العروبـــة فـــي الفـــؤاد
دهـــى (عنابـــة) ومواطنيهـــا ... بخطـــب هـــز أركـــان الـــبلاد
عـــروس الشـــرق مـــن وطنـــي تجلـــت ... ولكـــن فـــي جلابيـــب الســـواد
فقـــد نكبـــت بكارثـــة انفجـــار ... وعاديـــة تجـــل عـــن العـــوادي
بـــدا فـــي بحرهـــا (نجـــم) تجلـــى ... مـــن (الإســـكندرية) فـــي اتقـــاد
ولكـــن خرمحترقـــا غريقـــا ... بمرفئهـــا فحـــار إلـــى رمـــاد
خســـرنا اليـــوم بـــاخرة أتتنـــا ... محملـــة بأصـــناف العتـــاد
مـــن الـــوطن الشـــقيق، وهـــل كمصـــر ... لنـــا وطـــن أخ صـــافي الـــوداد
لقـــد شـــبت بهـــا النيـــران لـــيلا ... ودبـــت بـــالحرائق والفســـاد
كزلزلـــة تهـــز الأرض هـــزا ... وتنســـف مـــا عليهـــا مـــن عمـــاد
يـــدوي صـــوتها كـــدوي رعـــد ... أجابتـــه الفـــرائص بارتعـــاد
وهبـــت ريحهـــا تـــذكي لظاهـــا ... وتنقلهـــا إلـــى الـــدور البعـــاد
وتقـــذف بالصـــواري والشـــظايا ... وأثقـــال الحديـــد بكـــل وادي
لا تســـأل هنـــاك عـــن الضـــحايا ... فقـــد حصـــدت بهـــا أشـــقى حصـــاد

أبت النفس أن تراك عديما

قـــم بحـــق الإخـــاء وارث حميمـــا ... راحـــلا مخلـــص الـــولاء صـــميما
صـــد عنـــك الـــذي دنـــا منـــك ودا ... وحنـــا عاطفـــا عليـــك كريمـــا
صـــد عنـــك "البشـــير" شـــب حنايـــا الـــص ... در نـــارا وهـــدها تحطيمـــا
حـــم مـــوت البشـــير فاكتـــأب الشـــعب ... وأصـــغى إلـــى النعـــي كظيمـــا
فجعـــت أمـــة العروبـــة فـــي الهـــا ... دي لمـــن ظـــل نهجهـــا المســـتقيما
كـــان للعلـــم فـــي الجزائـــر روضـــا ... مســـتطابا يحـــي النفـــوس شـــميما
ولقـــد أســـس المعاهـــد فيهـــا ... منـــذ عهـــد وخطـــط التعليمـــا
فقـــد "المجمـــع الكنـــاني" عضـــوا ... نـــادر الكـــفء بالغريـــب عليمـــا

كـــان بحـــرا مـــن المعـــارف زخـــا ... را وذخـــرا مـــن الفنـــون جســـيما
ودماغـــا وعـــى "المحـــيط " محيطـــا ... ولســـانا حـــوى "اللســـان" قويمـــا
راض فصـــحى اللغـــى فـــأوتي فيهـــا ... منطقـــا ســـاحرا وذوقـــا ســـليما
رافـــق الكتـــب والمكاتـــب دهـــرا ... وتقصـــى أعلامهـــا تعميمـــا
فبـــدا عصـــرها القـــديم جديـــدا ... وبـــدا عصـــره الجديـــد قـــديما

الفصل الثاني

الدراسة الفنية

المبحث الأول: دراسة المضامين

المبحث الثاني: المعجم والأسلوب

المبحث الثالث: الصور والرموز

المبحث الرابع: موسيقى المراثي

الفصل الثاني: الدراسة الفنية

المبحث الأول: دراسة المضامين

تضمنت مرثيات محمد العيد ست عشرة قصيدة، مختلفة من حيث المضامين، وقد عنونها كما يلي: رثاء رشيد، رثاء إلى صديقي الجلالي، رثاء شاعر النيل حافظ إبراهيم، إلى روح شوقي، قصة شهيدين، الوداع، الوداع، في ذمة الله يا خالد، رثاء غازي الأمل ملك العراق، عزاء لتركيا، رثاء رشيد بطاحوش، يا قبر، دمعة منهمرة على فتاة منتحرة، تأبين الشادلي خزندار، فقدنا مليكا عادلا، عزاء في فجيعتنا، أبت النفس أن تراك عديما.

وهي جملة في رثاء الأصدقاء، والعلماء، والأدباء، والشعراء، والحكام والسلاطين، ورثاء الشهداء والعامة، وقد تميز رثاء كل فئة بمضامين خاصة وأخرى متشابهة، فأما المتشابهة فهي الفجيعة والفقد والشعور بالحزن، وأما المختلف ففي اختلاف درجة الفقد والحزن وتفاوتها من مرثية إلى أخرى، حسب مكانة المرثي وقرابته من الشاعر.

1/ مضامين مرثيات العلماء والأدباء:

لقد كتب محمد العيد آل خليفة بعض القصائد في رثاء بعض العلماء والأدباء والمصلحين من بينها قصيدة (الوداع الوداع) وقصيدة (أبت النفس أن تراك عديما) وقصيدة (رثاء رشيد بطحوس) و (يا قبر) وقصيدة (في ذمة الله يا خالد) ونتطرق لأحد قصائد رثائه بعنوان "يا قبر"، إذ يقول[1]:

يـــا قبـــر طبـــت وطـــاب فيـــك عبيـــر ... هـــل أنـــت بالضـــيف العزيـــز خبيـــر؟
هـــذا (ابـــن بـــاديس) الإمـــام المرتضـــى ... (عبـــد الحميـــد) الـــى حمـــاك يصـــير
العـــــالم الفـــــذ الـــــذي لعلومـــــه ... صـــــيت بـــــأطراف الـــــبلاد كبيـــــر
بعـــث الجزائـــر بعـــد طـــول ســـباتها ... فالشـــعب فيهـــا بالحيـــاة بصـــير
وقضـــى بهـــا خمســـين عامـــا كلهـــا ... خيـــر لكـــل المســـلمين وخيـــر

ارتجل الشاعر هذه المقطوعة عندما وقف لأول مرة على قبر إمام النهضة الجزائرية الأستاذ الرئيس عبد الحميد ابن باديس "وقد نقشت على رخامه وعلقت على ضريحه"

[1]- محمد العيد آل خليفة، الديوان، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزاء، ج1، 2010م، ص430.

قد وقف يرثيه بأسمى العبارات، فيخرج عواطفه الحزينة على فقد أحد أهم المصلحين والأدباء الجزائريين، واستعمل النداء "يا قبر.." ليجمع بين عذاب الفراق والالتذاذ بذكره واستحضاره وشجاعته، وكذلك لتأكيد اسمه وحسرته عليه، واستعمل أسلوب الاستفهام لتقرير أن العمر يمر وينتهي إلى النقصان والضعف، ولبيان أن الموت شامل لا مفر منه، وهذه لتعميم المصيبة وتنفيس المصاب وارتياحه.

وفي رثائه لابن باديس نلاحظ تركيزه على ذكر فضيلة العلم "العالم الفذ" ثم عملية الإحياء بالعلم والتعليم، وعبر عنها ببعث الشعب والحياة والبصيرة، وذلك خير ما يمكن أن يرثى به العالم.

2/ مضامين مرثيات الشهداء:

نظم الشاعر قصيدة "قصة شهيدين" يتأسف فيها لما حدث مع الشابين الشهيدين في حادثة حصلت بين الشعب والبوليس، حيث وصف شجاعتهم وهو يتحسر على ما حصل مع الشعب الذي سلبت منه حريته ويرثي بأسمى العبارات براءتهما واصفا معاناة الشعب الذي يتعرض للعقاب؛ قال الشاعر[1]:

شـــهمان فـــي الخطـــب لـــم يهابـــا ... ناداهمـــــا الخلـــــد فاســـــتجابا
تلقيـــا فـــي الحشـــا رصاصـــا ... مفرغـــــا للـــــردى مـــــذابا
خـــرا إلـــى الأرض فـــي مصـــاب ... لـــــم نحتمـــــل مثلـــــه مصـــــابا
إن الشـــــهيدين قـــــد ألمـــــا ... بظلهـــــا فـــــازدهى وطابـــــا
يـــــا تربـــــة أشـــــرقت قبـــــورا ... وأشـــــرقت كـــــالربى قبابـــــا
ريـــح صـــن الخلـــد فيـــك هبـــت ... وعـــارض منـــه فيـــك صـــابا

لا شك أن الشاعر ضمن في رثائه للشهيدين ما يتناسب مع فضائل الشهادة في سبيل الله، مثل الخلود في الجنة، والحياة في الآخرة حقيقة، وفي الدنيا تذكرا وشهرة، وتلك أنسب المضامين في هذا المقام.

[1]- محمد العيد، الديوان، ص416.

3/ مضامين مرثيات الشعراء:

رثى الشاعر بعض زملائه الشعراء كشاعر النيل حافظ إبراهيم والشاعر أحمد شوقي، وعبر عن مدى حزنه بقرائن تدل على موطن العاطفة الحزينة والحسرة على من تركوا أثرا لا يزول في الشعر العربي، من ذلك رثاء حافظ إبراهيم[1]

قم عز مصر وعز الشرق أقطارا ... ففحل مصر خبا كالنجم وانهارا
خطب جرى في ضفاف النيل زلزلة ... وثار ملء جواء الشرق إعصارا
يا ويح مصر خلت (من حافظ) وخلا ... في الهامدين كأن لم يثوها دارا
يا موت فاجأت من لو ضفت ساحته ... مهلا لوفاك ترحيبا وإكبارا
يا موت عدت بنفس خصبة نبتت ... فيها المبرات مثل الروض أنهارا

وفي القصيدة مضمون مختلف في عواطفه، ففيه تعبير عن محبة وأسف "يا ويح مصر" على خسارة شاعر الأمة العربية حافظ إبراهيم، وتعزية لمصر عنه هذا الشاعر الذي كان له الفضل على اللغة والأدب العربي، وقد كرر الشاعر نداء "الموت" مرات، معاتبا ومتسائلا، في تأدب مع الله في خطابه.

4/ مضامين مرثيات الحكام والسلاطين:

لقد كان للحكام والسلاطين والملوك نصيب من رثاء الشاعر محمد العيد آل خليفة حيث كتب قصائد يرثي فيها بعض الملوك، كرثاء غازي الأول ملك العراق، ورثاء مصطفى كمال أتاتورك في النص الموالي[2]:

هوى من أفقه البازي ... صريعا أم قضى (الغازي)
قضى اليوم أبو الترك ... فمن ذا لابنه العازي؟
تحدى قادة الغرب ... فأعياهم بإعجاز
فلم يلحق به (الدتشي) ... لدى البأس ولا (النازي)
أعزي تركيا في مس ... تخف بالردى هازى
أعزي تركيا في قا ... ئد للحرب نهاز

[1]- محمد العيد، الديوان، ص411.
[2]- المصدر نفسه، ص426.

سـيجزي سـعيه التـاري خ مـا لـم يجـزه جـاز

توجه الشاعر بتعازيه للشعب التركي على وفاة أعظم قائد –آنذاك– مصطفى كمال أتاتورك أنشأ الدولة القومية العلمانية التركية والذي أصبحت سياسته ونظرياته معروفة باسم الكمالية، وقد ضمن مرثيته شجاعته وعدله وحكمته وتحديه للغرب والأعداء، وذكر فضله وعظمته وحكمته، وهي مضامين تتناسب مع مقام القائد والحاكم.

5/ مضامين مرثيات الأصدقاء:

وفي هذا النص يرثي صديقه رشيد بطحوش بكل وفاء وصدق، وتبدو الحسرة هنا أشد من غيرها، فالمشاعر جياشة والخسارة كبيرة، ولم يقتصر في مضامين هذه المرثية على ذكر فضائل الفقيد بل تعداها وأكْثَر من وصف حاله بعد موت هذا الصديق من معاناة ووحدة، قال الشاعر[1]:

جـوانحي فـي التهـاب وأدمعـي فـي انسـكاب
أصـبحت ولهـان مضـنى فـي لوعـة واكتئـاب
الحـزن مـلء فـؤادي والسـقم مـلء اهـابي
أوشـكت أفقـد رشـدي مـن الأسـى وصـوابي
وا حسـرتي وبلائـي ونكبتـي وعـذابي
فقـد (الرشـيد) دعـاني لصـرختي وانتحـابي
فقـد (الرشـيد) رمـاني مـن الجـوى فـي عبـاب
فقـد الرشـيد مصـاب مطـأطئ للرقـاب
فقـد الرشـيد مصـاب يـا هولـه مـن مصـاب
يـا صـاحبا كـان عـوني ومؤنسـي فـي الصـحاب

6/ مضامين مرثيات العامة:

لقد قام الشاعر محمد العيد آل خليفة برثاء بعض الفئات العامة من شخصيات مختلفة في بعض قصائده متحسرا على ما حدث لهم، ومتأسفا على ما آلت إليه أحوالهم النفسية والاجتماعية وهو رثاء عام تجلت فيه مشاعره الاجتماعية، والبارز في رثاء العامة

[1]- محمد العيد، الديوان، ص427.

أننا نجد فيه فجيعة الفقد والحسرة والألم ممزوجة بالنصح والإرشاد والدعوة للتصبر والتعقل؛ ومن ذلك رثاؤه للفتاة التي انتحرت.

وحول الرثاء الذي كان الفكرة التي انطلق منها الشاعر هي الاستنكار ويعالج فيها آفة الانتحار ثم يتوجه الشاعر إلى نصح الشباب فكان المضمون هو التماس عذر الانتحار ثم أخذ الموعظة ومدحها بالجمال والذكاء ودعا لها بالمغفرة. فيقول محمد العيد آل خليفة في قصيدة "دمعة منهمرة على فتاة منتحرة"[1]:

أذرت عليك دموعها الأنداء ... يا زهرة عصفت بها النكباء
ماذا دهاك من الحياة فعفتها ... وعرتك فيها نظرة سوداء
ألقيت نفسك من شفير شاهق ... يخشى الوقوف بجنبه الجرآء
أخطأت رأيا في انتحارك إنه ... ذنب يشين وفكرة حمقاء
ما كان حل المشكلات بحادث ... للنفس فيه على الشقاء شقاء
ولعل رزأك نوبة نفسية ... أو عثرة في السير أو إغماء
أو لفحة بك في ذكائك أحرقت ... منك الحجى ومن الذكاء ذكاء
لا تيأسي من روح ربك إنه ... ماحي الكبائر محسن معطاء
أضفى عليك الله حلة عفوه ... وسقتك من رحماته أنواء
قل للشباب المستبد برأيه ... المستفزة وجده الأهواء
إن انتحار اليائسين جناية ... عظمى يبوء بخزيها الجبناء

وكتب الشاعر قصيدة أخرى بعنوان "عزاء في فجيعتنا" إثر الانفجار الذي وقع في ميناء عنابة، ونحسب أن هاتين القصيدتين من أبرز قصائد رثاء العامة.

[1]- محمد العيد، الديوان، ص431-433.

المبحث الثاني: المعجم والأسلوب

1/ المعجم اللغوي

يعرف المعجم اللغوي لقصيدة ما بأنه "تردد الكلمات بنسب مختلفة أثناء نص معين سواء بنفسها أو بمرادفها أو بتركيب معناها فتكون حقولا أو حقلا دلاليا"[1]. إن دراسة المعجم اللغوي عند الشاعر تساعد على فهمه، والتدقيق في خواص المعجم يكشف كثيرا من اتجاه حركة المعنى داخل الأبيات، فيه وفي الوقت نفسه يقودنا إلى اتصال المعنى بالعناصر التي تحيط بالشاعر على اختلافها سواء منها العناصر المادية أو العناصر المعنوية؛ "فموقف الشاعر من هذه الأمور يكشف عن موقفه إزاء العالم وانعكاس الموقف على رؤيته"[2].

والمعجم اللغوي في ديوان محمد العيد آل خليفة وبخاصة المراثي أي حقل الرثاء هو ما اختاره الشاعر من ألفاظ ومعان شكلت مرثياته خاصة، ودراستها وفق حقول تسهم في الكشف عن ما يدور في ذهن الشاعر من أفكار، وتعددت مصادر المعجم اللغوي في الرثاء من ديوان محمد العيد وسوف نصنف هذه المعاجم إلى حقول دلالية مختلفة كما يلي:

1/1- حقل الموت:

يعتبر لفظ الموت أساس الرثاء، فلولاه ما نظم الشاعر مرثيته، ومن مرادفاته: (صرعى، قبر، دماء، انتحارك، جنازة، جثة، فجيعة)، هذه المفردات تظهر في قصيدته دمعة منهمرة يقول فيها[3]:

وسقطت **صرعى** لم يقلك في الثرى فرش ولم يسدل عليك غطاء

ويقول في أبيات أخرى[4]:

الموت جاءك خاطبا فرضيته زوجا وباء بصدك الخطباء
فزففت في عرس لزوجك صاخب لكن خضابك يا عروس دماء

---

[1]- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992م، ص57.
[2]- محمد عبد المطلب، قراءة ثانية في شعر امرئ القيس، الشركة المصرية العالمية لونج مان، مصر، دط، 1976م، ص299.
[3]- محمد العيد، الديوان، ص431.
[4]- المصدر نفسه، ص432.

أمـــا صـــداقك يـــا عـــروس فلوعـــة حـــــرى تـــــذوب بنارهـــــا الأحشـــــاء
وفجيعـــة بـــك يـــا عـــروس وجيعـــة نكبـــــت بهـــــا الأهلـــــون والقربـــــاء

وقوله[1]:

مـــا شـــيعتك جنـــازة بـــل أمـــة نشـــرت فلـــم يســـتوفها إحصـــاء
هـــل فـــوق نعشـــك جثـــة أم تـــوأم لبنـــات نعـــش أم هـــي الجـــوزاء؟

2/1- حق الحزن:

ليس بعد الموت إلا الحزن، وقد وردت ألفاظ كثيرة تدل على الحزن الشديد الذي أصاب الشاعر بفراق من رثاهم، عبر عنها بألفاظ مرافات كثيرة منها: (دموع، سوداء، حزن، أرق، أليمة، ظلماء، البؤس، نكبت، وجيعة، متحسرا، العتاب، تيأس، بكاء، أحرقت)

3/1- حقل مدح الميت:

ليس الرثاء في حقيقته إلا مدح للميت بفضائل ومحامد، نذكر منها: (الفذ، العادل، المرضى، خير، ذكرك، خالد). ولا تخلو مرثية من ذكر محاسن للمرثي تتناسب مع شخصه ومنزلته وقرابته من الشاعر، ربما يضيق المقام بذكرها كلها.

4/1- حقل الطبيعة:

شارك الشاعرُ الطبيعةَ في حزنه وألمه، فبث لها احزانه، وشكا لها، إنها أمه الأولى، فلا عجب من ذلك، وهدفه الترويح عن نفسه بتلك الكلمات، وتصوير هول مصيبة الموت: (النجم، إعصار، زلزلة، أقاليم، شمس، الأشواك، أسورا). قال الشاعر[2]:

قـــم عـــز مصـــر وعـــز الشـــرق أقطـــارا ففحـــل مصـــر خبـــا كـــالنجم وانهـــارا
خطـــب جـــرى فـــي ضـــفاف النيـــل زلزلـــة وثـــار مـــلء جـــواء الشـــرق إعصـــارا
وطـــار كـــالبرق ينعـــى شـــاعرا لبقـــا الـــى أقـــاليم فيهـــا صـــيته طـــارا

ويقول[1]:

---

[1]- محمد العيد، الديوان، ص433.
[2]- المصدر نفسه، ص411.

عربت في مصر شمسا وارتجحت بها ركنا وصوحت في إكليلها غارا
أبعد ما كنت صدرا في محافلها وسدت أتربة فيها وأحجارا؟

5/1- حقل الدعاء والصبر:

يظهر الدعاء في قصائد الرثاء جليا، ذلك أن حزن الشاعر لا يصرفه عن نسيان حال الميت وحاجته إلى الدعاء، والدعاء في هذا الموقف هو تعبير عن الرحمة والوفاء، وهذه بعض الألفاظ: (التضرع، دعاء، صبر، ماحي الكبائر، الفوز، الرجاء، نجاة، متوكل، رضاه..)؛ يقول الشاعر[2]:

لا تيأسي من روح ربك إنه ماحي الكبائر محسن معطاء
أضفى عليك الله حلة عفوه وسقتك من رحماته أنواء

كانت هذه هي بعض الحقول الدلالية للشاعر التي استعملها في قصائده المرثية، والجدير بالذكر أن هناك حقولا أخرى تعتبر ثابتة وحاضرة في مرثيات محمد العيد، نذكر منها حقل الرضا بقضاء الله، وحقل الوعظ والإرشاد، ولا نعجب من ذلك فالشاعر مصلح بامتياز، نشأ نشأة دينية وطنية..

2- الأسلوب:

يهيمن أسلوب القص على مرثيات الشاعر، وهو أسلوب غلب عليه بسبب تربويته، أو تأثره بمعلميه في الكتاتيب والأزهر، ولذلك غلب الأسلوب الخبري كثيرا في توظيفه، وهذا لا يعني غياب الأسلوب الإنشائي، بل كان حضور الآخر كذلك بقوة، وبذلك يكاد يحدث الشاعر توازنا بين الأسلوبين في رثياته.

---

[1]- محمد العيد، الديوان،
[2]- المصدر نفسه، ص433.

1/2- الأسلوب الخبري:

الخبر في حقيقته جملة خبرية "وهي الجملة الّتي اشتملت على خَبَرٍ مَا، فَمَضْمُونُها إخبارٌ عن أَمْرٍ ما، إيجاباً أوْ سَلْباً. والقصدُ منها الإِعْلَامُ بأَنَّ الْحُكْمَ الّذي اشتملت عليه له واقعٌ خارجَ العبارة الكلاميّة مطابقٌ له"[1]. وهذه نماذج من الأساليب الخبرية في رثائيات الشاعر محمد العيد آل خليفة، تتضمن شاهدا شعريا، وبيانا لأسلوبه، ونوعه، وغرضه. ومن قوله:

هـذا ابـن بـاديس الإمـام المرتضـى عبـد الحميـد إلـى حمـاك يصـير

أسلوب خبري، التقرير والتوكيد، بذكر البدل والمبدل منه. وقال أيضا:

لـيس انتحـارك كـان رزءا واحـدا فـي وقعـه بـل إنـه أرزاء

أسلوب خبري ضربه ابتدائي، غرضه إظهار التحزن والتفجع، وهول المصيبة. ثم قال:

عرضـت عرضـك للظنـون وعسـفها إن الظنـون مطيـة عميـاء

أسلوب خبري طلبي، لأن سبق بتوكيد، وغرضه حكمي نصحي. وقال كذلك:

إن انتحـار اليائسـين جنايـة عظمـى يبـوء بخزيهـا الجبنـاء

أسلوب خبري طلبي، لأنه مسبوق بتوكيد إنّ، غرضه التوكيد والتقرير والنصح من نتيجة الانتحار، التي لا يكون مآلها إلا الندم. ومن قوله:

مـن ينـج مـن بلـوى يقـع فـي مثلهـا فمـن الـبلاوي لا يتـاح نجـاء

أسلوب خبري ابتدائي جاء جملة شرطية، في قالب حكمي، غرضه التأسي والتصبر والرضا بما قضى الله من موت على المرثي.

2/2- الأسلوب الإنشائي:

جاء في حقيقة الإنشاء وتقسيمه ما نصه: "الإنشاء لغة: الإيجاد، واصطلاحاً: كلامٌ لا يحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته.. وهو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به.. وينقسم الإنشاء إلى نوعين: إنشاء طلبي وإنشاء غير طلبي، فالإنشاء غير الطلبي ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، ويكون بصيغ المدح والذم وصيغ العقود والقسم

[1]- عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، سوريا، والدار الشامية، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ج1، ص166.

والتعجب والرجاء، وكذا يكون بربَّ ولعلَّ، وكم الخبرية"[1] وهذه الآن نماذج من الأساليب الإنشائية، مختارة في أبيات من رثائياته، مشفوعة بنوع الإنشاء وغرضه؛ قال الشاعر:

يـــا قبـــر طبـــت وطـــاب فيـــك عبيـــر هـــل أنـــت بالضـــيف العزيـــز خبيـــر؟

أسلوب إنشائي، نوعه النداء، نداء القبر على اعتبار أنه عاقل. يليه أسلوب إنشائي آخر، نوعه استفهام، وغرضه إظهار الحسرة الشديدة والحزن. ثم قال:

يـــا مـــوت فاجـــأت مـــن لـــو ضـــفت ســـاحته مهـــــلا لوفـــــاك ترحيبـــــا وإكبـــــارا

أسلوب إنشائي طلبي، نوعه نداء، غرضه الاسترحام، وإظهار الضعف. وقال أيضا:

بـــالله مـــا حـــال فكـــر كـــان غاديـــة فـــي فيضـــة ولســـان كـــان قيثـــارا؟

أسلوب إنشائي طلبي، استفهام مجازي، غرضه التقرير. ثم قال:

وأيـــن عهـــدك بالـــدار التـــي عهـــدت منـــك المعـــري بالشـــكوى وبشـــارا؟

أسلوب إنشائي طلبي، نوعه استفهام مجازي، غرضه التوكيد. ومن قوله:

وكيـــف حالـــك فـــي دار نزلـــت بهـــا ضـــيفا عســـاك بهـــا للخلـــد مختـــارا؟

أسلوب إنشائي طلبي، استفهام مجازي، غرضه إبداء الحيرة والأسى. وقال:

لا تيأســـــي مـــــن روح ربـــــك إنـــــه مـــــاحي الكبـــــائر محســـــن معطـــــاء

أسلوب إنشائي، نوعه نهي، وغرضه النصح والإرشاد.

[1]- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في أدبيات وإنشاء لغة العرب، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.ص53.

المبحث الثالث: الصور والرموز

1/ الصور:

تجلت الصور البيانية في رثائيات محمد العيد في تشابيه رائقة، واستعارات فائقة، وكنايات سابقة، ومجازات لائقة.

2/1- التشبيه:

جاء في اللسان "الشبه والتشبيه، والتشبه المثل، وأشبه الشيء ماثله، وفي المثال: من أشبه أباه فما ظلم وتتشابه الشيئان، واشتبه أشبه كل واحد منهما صاحبه، ويقال شبهت هذا بهذا، وأشبه فلان فلانا" و"التشابه أن تكون الألفاظ غير متباينة بل متقاربة من الجزالة والدقة والسلامة، وتكون المعاني مناسبة لألفاظها عن غير أن يكسوا لفظ المعنى السخي أو على الضد: بل يصاغان معا والصياغة تناس وتلاؤم"[1]. قال الشاعر من قصيدة رثاء "غازي الأول ملك العراق"[2]:

ومضـــــــى لـــــــه كالليـــــــث لا وجـــــــــلا ولا متهيبـــــــــا

وهو تشبيه بليغ فيه عقد مقارنة بين طرفين يشتركان في صفة واحدة وهي القوة والشجاعة والتعدي، فشبه الملك بالليث أي بنفس شجاعته وهبته وجرأته.

وقال الشاعر أيضا في هذا البيت من قصيدة "دمعة منهمرة على فتاة منتحرة"[3]:

قـــد حفـــت الأيـــدي بنعشـــك فـــاعتلى كالفلـــك تزخـــر تحتـــه الـــدأماء

نجد الشاعر هنا ذكر المشبه وهو "النعش" والمشبه به هو الفلك وأداة التشبيه "الكاف" ووجه الشبه هي كلمة تزخر وهي للمدح والوصف والتأثير.

2/1- الاستعارة:

حاول علماء البلاغة المحدثون على إبراز وتوضيح بلاغتها وفائدتها فأصبحت لديهم (المحدثين) "قمة الفن البياني، وجوهر الصور الرائعة، والعنصر الأصيل في الإعجاز والوسيلة الأولى التي يحلق بها الشعراء، وأولوا الذوق الرفيع إلى سماوات من الإبداع ما

---

[1]- إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1997م، ص331.

[2]- محمد العيد، الديوان، ص424.

[3]- المصدر نفسه، ص433.

بعدها أروع ولا أجمل ولا أحلى، فالاستعارة ينقلب المعقول محسوسا، تكاد تلمسه اليد وتبصره العين ويشمه الأنف، وبالاستعارة تتكلم الجمادات وتتنفس الأحجار وتسري فيها آلاء الحياة"[1].

2/1/أ- الاستعارة المكنية:

لا نصرح فيها بلفظ المشبه به (المستعار منه) بل نرمز إليه بشيء من لوازمه[2]. يقول الشاعر[3]:

لك الويل من نعي به هتف البرق فريع له الإسلام واضطرب الشرق

هذه استعارة مكنية "هتف البرق"، وذلك لأنه شبه البرق بإنسان يمكن له أن يهتف وحذف المشبه به وهو "الإنسان" وترك لازما من لوازمه وهو "هتف" على سبيل الاستعارة المكنية.

2/1/ب الاستعارة التصريحية:

وهي "ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه، أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه فهي حذف أحد طرفي التشبيه فإذا حذفنا المشبه وصرحنا بلفظ المشبه به أطلقنا هذا النوع من الاستعارة (تصريحية) لأننا تناسينا المشبه وادعينا أن المشبه به هو المشبه، وصرحنا به"[4]؛ قال الشاعر[5]:

سلام على ليث الجزيرة في الثرى مسجى بطيب الذكر يندبه الصدق
لقد خلف الأشبال تحمي عرينه ضواري في رعي الذمار لها حذق

شبه الشاعر هنا المرثي بالليث الذي يستوطن الجزيرة على سبيل الاستعارة التصريحية وحذف المشبه وهو "الملك" وترك قرينة تدل عليه وهي المشبه به "الليث" وفي البيت الثاني ذكر أيضا "الأشبال" (المشبه به) ويقصد بهم شعب وأهل جزيرته وترك قرينة تدل عليه وهي لفظ "خلق" أي ترك من يرث ويحفظ ويرعى ملكه وهي كذلك على سبيل

---

[1]- بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البيان، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984م، ص111.
[2]- ينظر: حسني عبد الجليل يوسف، التصوير البياني بين القدامى والمحدثين، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الآفاق العربية، القاهرة، دط، دت، ص50.
[3]- محمد العيد، الديوان، ص437.
[4]- ينظر: محمد مصطفى هدارة، علم البيان في البلاغة العربية، دار العلوم العربية، البيروت، ط1، 1989م، ص69.
[5]- المصدر السابق، ص438.

الاستعارة التصريحية لإبراز المعنى عن طريق التشخيص والتجسيد مما يزيده جمالا ورونقا. ويقول في استعارة تصريحية أيضا من قصيدة "تأبين الشاذلي خزندار"[1]:

فقـــــدت تـــــونس مـــــن آفاقهـــــا كوكبـــــا قطبـــــا وبـــــدرا إضـــــحيانا

وهنا شبه الشاعر الفقير الشاذلي بالكوكب والبدر وحذف المشبه وهو الفقيد وهي استعارة تصريحية حذف أحد أطرافها وترك قرينة تدل عليه وهي عبارة فقدت تونس. ويقول أيضا في نفس القصيدة[2]:

كـــــان أشـــــجى بلبـــــل فـــــي أيكهـــــا أطـــــرب الأنفـــــس بالشـــــدو زمانـــــا

شبه الشاعر محمد العيد آل خليفة الشاعر التونسي الشاذلي خزندار بالبلبل الذي أطرب الأنفس بشعره على سبيل الاستعارة التصريحية.

3/1- الكناية:

من بين التعاريف اللغوية للكناية "أن تتكلم بشيء وتريد غيره"[3]؛ أما في الاصطلاح: "فهي لفظ يراد به غير معناه الأصلي، دون أن يمنع ذلك من إرادة المعنى الأصلي في بعض الكنايات"[4]. وفي قصيدة "يا قبر" نجد الكناية في قوله[5]:

العـــــالم الفـــــذ الـــــذي لعلومـــــه صـــــيت بـــــأطراف الـــــبلاد كبيـــــر

العالم الفذ: (كناية عن موصوف) ويعني به عبد الحميد بن باديس. ويقول كذلك[6]:

بعـــث الجزائـــر بعـــد طـــول ســـباتها فالشـــعب فيهـــا بالحيـــاة بصـــير

بعث الجزائر بعد طول "سباتها" كناية عن صفة التخلف والانحطاط.

2/ المجاز المرسل:

وفي قوله: "اضطرب الشرق" يعتبر مجازا مرسلا ذا علاقة مكانية، فالشاعر وصف في شعره ما كانت له مكانة عالية في بلده وفي الشرق ككل، مستخدما هذه الوسيلة البيانية التشبيهية المرسلة.

---

[1]- محمد العيد، الديوان، ص434.
[2]- المصدر نفسه، ص435.
[3]- ابن منظور، لسان العرب، مج15، ص233.
[4]- محمد سلطاني، الميسر من علوم البلاغة والعروض، دار عصماء للطباعة والنشر، سوريا، ط1، 2018م، ص110.
[5]- محمد العيد، الديوان، ص430.
[6]- المصدر نفسه، ص430.

2- الرموز:

جاء في اللسان "الرَّمْزُ: تَصْوِيتٌ خَفِيٌّ بِاللِّسَانِ كالهَمْس، وَيَكُونُ تحريكَ الشَّفَتَيْنِ بِكَلَامٍ غَيْرِ مَفْهُومٍ بِاللَّفْظِ مِنْ غَيْرِ إِبانة بِصَوْتٍ إنما هُوَ إِشارة بِالشَّفَتَيْنِ، وَقِيلَ: الرَّمْزُ إِشارة وإِيماء بِالْعَيْنَيْنِ وَالْحَاجِبَيْنِ وَالشَّفَتَيْنِ وَالْفَمِ. والرَّمْزُ فِي اللُّغَةِ كُلُّ مَا أَشرت إِليه مِمَّا يُبانُ بِلَفْظٍ بأَي شيءٍ أَشرت إِليه بِيَدٍ أَو بِعَيْنٍ، ورَمَزَ يَرْمُزُ ويَرْمِزُ رَمْزاً. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ فِي قِصَّةِ زَكَرِيَّا، عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً"[1].

والرمز في الاصطلاح: "علامة ممثلة لشيء آخر ودالة عليه.. والرمز يمتلك قيما تختلف عن قيم أي شيء آخر يرمز إليه كائنا ما كان، وهو كل علامة محسوسة تذكر بشيء غير حاضر، فالعلم يرمز إلى الوطن والأمة"[2]، وفي غرض المراثي وظف الشاعر رموزا طبيعية ورموزا دينية وأخرى صوفية.

1/2- الرمز الطبيعي:

أحسن الشاعر استخدام الرمز الطبيعي وتوظيفه خصوصا عندما اتكأ على الصورة المجازية لخدمة رموزه فأتت متسمة بجمالية وإيحائية عميقة "فاستعمل كلمات مثل: الثرى، السماء، الفلك، البلبل، الكوكب، البرق، نجم، الشمس، نور". قال الشاعر [3]:

فقد الشعر من الشرق شمسا لم يزل منها على الشرق نور

ترمز الشمس إلى الفضل على الآخر وعلى العلم بنورها. وفي رمز "الماء" نجد دلالة على الإحياء، والفضل على الآخرين، وعلى القيمة العظيمة، فلا يمكن لكائن أن يستغني عن الماء، قال الشاعر[4]:

وشق الثرى واستخرج الماء دافقا بكل النواحي لا يكف له دفق

من قصيدة "فقدنا مليكا عديلا" يرثي فيها الملك عبد العزيز آل سعود ويمدح ما قام به ويقصد بأنه استخرج الماء هنا أي أنه هو من بعث الحياة ووفر أساسيات العيش الكريم ويقصد به الخير والانبعاث والخصب الذي يمحو الجدب.

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، مج3، ص119.
[2]- محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ج1، 488.
[3]- محمد العيد، الديوان، ص413.
[4]- المصدر نفسه، الديوان، ص437.

وأشار محمد العيد رامزا بحيوانات مثل: "الطيور والليث والأشبال.. فيقول[1]:

سلام على ليث الجزيرة في الثرى مسجى بطيب الذكر يندبه الصدق

ورمز "الليث" ها يعود على المرثي الذي يتصف بالسيطرة والقوة والشجاعة، حيث جعل الليث في الذهن صورة للعظمة ورمزا دلاليا على الهيبة.

2- الرمز الديني:

الرموز الدينية من أكثر أنواع الرموز قدرة على شرح التجارب التي يمر بها الإنسان على مر الزمن، خاصة تلك المتعلقة بالعقيدة والفكر والانتماء، وهو الذي يجعلها أكثر الرموز استخداما في الشعر عامة "فهو حاضر على مستوى الكلمة المفردة وعلى مستوى الجملة والآية وأحيانا أخرى يتجاوز ذلك إلى إعادة جو القصص القرآني ضمن السياق الدلالي التي يرمي إليها كل توظيف"[2]. ومن أمثلة الرمز الديني ما نجده في رثاء رشيد بطحوش موظفا فيها شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يقول[3]:

في جنة ذات دور رفيعة وقباب

محمد لك جار وشافع في الحساب

جسد الشاعر في قصيدته شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم رمزا للسلام والفوز بالجنة ونيل الشفاعة والمنزلة العليا مع النبي صلى الله عليه وسلم أي دلالة على النعم والرضى في الفردوس الأعلى، رامزا فيه إلى النبي وشفاعته يوم الحساب ونعيم الجنة.

الرمز الصوفي:

إن التصوف هو تلك العلاقة الروحية بين الإنسان وخالقه فيعرفه ابن خلدون بقوله "هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخف الدنيا وزينتها والزهد فيها"[4] أما الرمز الصوفي هو الذي استخدمه ووظفه أغلب الصوفية في مختلف أشعارهم للتعبير عن دوافعهم الخاصة.

---

[1]- محمد العيد، الديوان، ص438.

[2]- عبد السلام المساوي، البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 1944م، ص144.

[3]- محمد العيد، الديوان، ص429.

[4]- فوزية لعويجي، توظيف الرمز في شعر محمد العيد آل خليفة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، تخصص أدب جزائري، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2016م، ص71.

"والتصوف عن محمد العيد لا يأتي إلا صامتا فالشاعر يمارس (رحلاته الصوفية) العلوية في خشوع وصمت بعيدا عن الصوفية الشعرية التي لا يمكن العثور عليها في شعره إلا إشارات ورموز دالة على فكر صوفي نهل منه محمد العيد، فالتصوف عنده إذن في شعره لا يتعدى جملا شعرية تبدو للقارئ في بيت أو بيتين من قصيدة طويلة ثم تختفي فجأة حين ينافسها الفكر الإصلاحي فيلجمها"[1]. وهنا يقول محمد العيد آل خليفة[2]:

تبـــــا لـــــدار غـــــرور خداعـــــة كالســـــراب
ويـــــح ابـــــن آم يلهـــــو والمـــــوت منـــــه كقـــــاب
المـــــوت نـــــوء ريـــــاح والمـــــرء عـــــود ثقـــــاب
لا بـــــد أن ســـــوف يخبـــــو كـــــل امـــــرئ غيـــــر خـــــاب

[1]- المرجع نفسه، ص72.
[2]- محمد العيد، الديوان، ص428.

المبحث الرابع: موسيقى المراثي

تعد الموسيقى عنصرا مهما من عناصر الشعر العربي قديما وحديثا ولكن "الاهتمام بها عند القدماء أشد وضوحا فالشعر كلام موزون مقفى"[1]. ونظرا لأهمية الموسيقى في الشعر اهتم بها النقاد وعنوا بدراستها؛ ونحن سندرس في هذا المبحث موسيقى الشعر بنوعيها؛ الموسيقى الخارجية: (الوزن والقافية، الزحافات والعلل)، والموسيقى الداخلية: (التكرار، والجناس، والتصريع).

1- الموسيقى الخارجية:

تتمثل الموسيقى الخارجية في الوزن والقافية والزحافات والعلل.

1/أ- الوزن:

يقصد به مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت[2]، في القصيدة العمودية وهو أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية وهو مشتمل على القافية وجالب لها بالضرورة[3]، وقد حافظ العرب على وحدة الوزن والقافية كلها[4]. وسنكتفي بقصيدة واحدة كنموذج من غرض الرثاء نطبق عليها دراسة الموسيقة الخارجية، وهي قصيدة "يا قبر". وفيما يلي الكتابة العادية والعروضية والحركات والسكانات والتفعيلة ثم تسمية البحر المستخرج؛ قال الشاعر[5]:

يَـا قَبْـرُ طِبْـتَ وَطَـابَ فِيـكَ عَبِيـرُ هَـلْ أَنْـتَ بِالضَّـيْفِ الْعَزِيـزِ خَبِيـرُ؟
يَـأْ قَبْـرُ طِبْـتَ وَطَـأْبَ فِيْـكَ عَبِيْـرُوْ هَـلْ أَنْـتَ بِضْضَـيْفِ لْعَزِيْـزِ خَبِيْـرُوْ
0ا0ااا 0اا0ا0ا 0اا0ا0ا 0ا0ااا 0اا0ا0ا 0اا0ا0ا
مُتْفَـاعِلُنْ/ مُتَفَـاعِلُنْ / مُتَفَـاعِلُنْ مُتْفَـاعِلُنْ / مُتْفَـاعِلُنْ / مُتْفَاعِـلْ

هذه القصيدة من بحر الكامل ومفتاحه هو: كمل الجمال من البحور كاملة = متفاعلن متفاعلن متفاعل. وهو بحر أكثر بحور الشعر من حيث أركان الحركات وله وقع موسيقي خاص.

---

[1]- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ط2، 1952هـ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ص19.
[2]- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص432.
[3]- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ج1، ص134.
[4]- ينظر، محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص432.
[5]- محمد العيد، الديوان، ص430.

هذه القصيدة من بحر الكامل التام، وضربه مقطوع، وعروضه صحيحة، وملاءمة الوزن للموضوع جعل تجانسا بين عواطف الفخر الذي نلمسه في القصيدة وبين أجزاء هذا الوزن للموضوع، كما أن الزحاف كسر الرتابة، وعلة القطع التي اختارها الشاعر كحيلة زين بها أبياته عموديا، فجاءت منسجمة مع القافية المطلقة المردوفة، كل ذلك ساهم في إضفاء نغم موسيقي تطرب له آذان المتلقي.

1/ب- القافية:

تعد القافية جزءا مهما من الموسيقى الخارجية للشعر وسوف نتعرف على مفهومها مع إعطاء نموذج عنها، تقول العرب: قفوته قفوا وقفوا: تبعته" وهذه التسمية أطلقت على القافية لأن الشاعر يقتفيها في كل أبياته فهي تقفوا بعضها البعض.. وتقفو البيت وهي خلف البيت كله"[1].

أما في الاصطلاح "عبارة عن الساكنين اللذين في آخر البيت مع ما بينها من الحروف المتحركة ومع المحرك الذي قبل الساكن الأول"[2]. ولها ثلاثة أشكال: كلمة واحدة، وقد تكون كلمتين وقد تكون بعض كلمة[3]. ومن أنواع القافية نجد القافية المطلقة والمقيدة، والحرف الأخير منها يسمى الروي. وفي المثال الموالي نجد القافية (بيرو=ا0ا0)، وهي مطلقة متواترة ؛ قال الشاعر[4]:

يَــا قَبْــرُ طِبْــتَ وَطَــابَ فِيــكَ عَبِيــرُ هَــلْ أَنْــتَ بِالضَّــيْفِ الْعَزِيــزِ خَبِيــرُ

1/ج- حرف الروي:

وهو أهم حرف في القافية وبه تنتهي القصيدة، وقد قسم إبراهيم أنيس الحروف التي يمكن أن تكون رويا إلى أقسام منها: حروف تجيء بكثرة وإن اختلفت بشيوعها في إشعار الشعر منها: حرف الراء..[5]؛ وفي المثال السابق نجد حرف الروي هو (الراء)؛ وهو من

---

[1]- الخليل ابن أحمد الفراهيدي، العين، تحليل عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ج3، ص420.

[2]- الدماميني بدر الدين، العيون الغامرة على الخبايا الرامزة، تحليل الحسان عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1973م، ص237.

[3]- أبو سعود سلامة أبو سعود، الإيقاع في الشعر العربي، دار الوفاء للدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، دط، دت، ص13.

[4]- محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص430.

[5]- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص246.

الحروف الذلقية التي يسهل النطق بها، والراء من الحروف التي تتميز بالتكرار، وهي لثوية بين الشدة والرخاوة مجهورة.

1/د- الزحافات:

الزحافات والعلل تغيرات تطرأ على تفاعيل الميزان الشعري، فالتفعيلة لا تبقى على حالة واحدة إذ تتغير هيئتها بالزيادة والنقصان والحذف والتسكين. والزحاف كما عرفه العروضيون تغيير بحذف في حشو البيت غالبا، وهو خاص بثواني فاصلة، ومن ثم يدخل الأوتاد، ودخوله في بيت من القصيدة لا يستلزم دخوله في بقية أبياتها والعروضيون يربطون الزحافات بالتفعيلة[1]، فالزحاف يمس الحشو والضرب جميعها.

ومن أنواع الزحافات نجد الإضمار، هو تسكين الحرف الثاني المتحرك من متَفاعلن فتصير متْفاعلن. وقد استعمل الشاعر عدة زحافات في قصائده وذلك لخلق إيقاع موسيقي للقصيدة ومثاله[2]:

يـــا قبـــر طبـــت وطـــاب فيـــك عبيـــرو هـــل أنـــت باضـــيف لعزيـــز خبيـــرو

0ا0ا0ا / 0ا0ااا / 0ا0ااا 0ا0ا0ا / 0ا0ا0ا / 0ا0ااا

متفاعلن/متفـــــــاعلن/ متفـــــــاعلن متفـــــاعلن/ متفـــــاعلن/ متفاعـــــل

إضمار إضمار / إضمار

وردت التفعيلة صحيحة 31 مرة وأصابها الزحاف 28 مرة كما جاءت عروضه صحيحة 10 مرات ومضمرة مرتين فالزحاف هنا كسر الرتابة وهذا الزحاف مستحسن في الكامل لأنه يعطي القصيدة نغما موسيقيا ترتاح له الأذن ويخرج عن الشق الشعري المتعلق بالزحاف لا يؤثر في المسافة الزمنية للمقطع الموسيقي بشكل كبير في كل البحور.

---

[1]- عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، دط، 1987م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص170.

[2]- محمد بن حسين بن عثمان، المرشد الوافي في العروض والقوافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص28-29.

1/هـ العلل:

تغيير يطرأ على الأسباب والأوتاد من العروض أو الضرب وهي لازمة، بمعنى إذا وردت في أول بيت من القصيدة التزمت في جميع أبياتها[1]، من أنواعها علة القطع وهي من علل النقص[2]. مثالها قول الشاعر محمد العيد آل خليفة[3]:

يـــا قبـــر طبـــت وطـــاب فيـــك عبيـــرو هـــل أنـــت باضـــيف لعزيـــز خبيـــرو

0ا0ا0ا / 0ا0ا0ا / 0ا0ا0ا / 0ا0ا0ا / 0ا0ا0ا

متفاعلن/متفـــــــاعلن/ متفـــــــاعلن متفـــــاعلن/ متفـــــاعلن/ **متفاعـــــــل** / علة القطع

نلاحظ أن متفاعلن تحولت متفاعلْ، على مستوى كامل نهاية القصيدة، على سبيل علة القطع.

2/ الموسيقى الداخلية:

تناولنا الموسيقى الخارجية المتمثلة في الوزن والقافية والزحافات والعلل وهنا نتطرق إلى الموسيقى الداخلية المتمثلة في التكرار، الجناس، التصريع، سوف نتناولها كما يلي.

2/أ- التكرار:

التكرار عند البلاغيين: هو تكرار اللفظ أو الدال أكثر من مرة في سياق واحد[4]، وللتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يصبح فيها فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإن تكرار اللفظ والمعنى جميعا فذلك "الحذيان" بعينه، ولا يجب للشاعر أن يكرر اسما إلا على جهة الشوق والاستغراب وإن كان في تغزل أو نسب[5]، والتكرار يعتبر خاصة من خصائص الشعر العربي عامة والجزائري خاصة أو بوجه خاص وذلك لما يتلقاه من اهتمام من قبل الشعراء باعتباره من أساسيات الجمال الشعري ولديه أنواع منها:

---

[1]- محمد بن حسن بن عثمان، المرشد الوافي في العروض والقوافي، ص32-33.

[2]- عبد الحميد السيد ابن عبد الحميد، الطريق المعبد إلى علمي الخليل ابن أحمد إلى العروض والقافية، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ط1، 2001م، ص59-61.

[3]- محمد العيد، الديوان، ص430.

[4]- فايز عارف الفزعان، في بلاغة الضمير والتكرار -دراسات في النص العذري-، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2010م، ص111.

[5]- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن العشر وأدبه ونقده، ص25.

2/أ/1- تكرار الأصوات:

هو أحد أنواع التكرار وأرقها نغمة ويكثر في استعماله من خلال تكرار حرف بعينه أكثر من مرة داخل البيت الشعري.. فليس تكرار الحروف قبيحا إلا حين يبالغ فيه وحين يقع فيه وفي مواضع من الكلمات يجعل النطق بها عبيرا فالمهارة هنا في حسن توزيع الحرف حين يتكرر، كما يوزع الموسيقى والنغمات[1]. ولنمثل بمقطوعة في ذمة الله يا خالد وهي أقصر مرثية، لإحصاء الحروف. قال الشاعر[2]

سـيذكرك الشـعب دهـرا مديـدا فأنـت لأبنائـه والـد
وأنـت قريبـا لهـم وبعيـدا وحيـا وميتـا لهـم قائـد
نـودع فيـك زعيمـا وحيـدا لنـا مجـده طـارف تالـد
خلـدت جميـل الثنـاء حميـدا ففـي ذمـة الله يـا خالـد!

وللأمانة فقد اعتمدنا على الحاسوب في الإحصاء، وحصلنا على النتائج المثبت في الجدول، وكما هو معلم، غلب تكرار حرف الدال، وحرف اللام، وحرف الياء، بتكرار كل منها ثلاث عشرة مرة. والسر في غلبة هذه الحروف الثلاثة بالذات، قيل: "صوتيًّا تعبر الميم عن تضامّ والتئام ظاهري، والدالُ عن ضغط.. وتعبر الياء عن امتداد واتصال"[3]. فإذا تأملنا حال الشاعر في الرثاء وجدنا فيه كل هذه الصفات، فهو على التئام مع المرثي، ويعيش ضغطا لفقده، وعلى علاقة ممتدة متصلة بالمرثي رغم موته.

أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر
4	5	5	1	2	3	2	13	2	4
ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف
1	1	1	0	0	1	0	4	0	5
ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي		
2	3	13	9	6	6	7	13		

[1]- أحمد حاجم الربيعي، صورة الرجل في شعر المرأة الأندلسية، دار غيداء، الأردن، ط1، 2004م، ص283.
[2] - محمد العيد، الديوان، ص422.
[3] - محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2010م، ج4، ص2043.

2/أ/2- تكرار العبارة:

وهو تكرار يقوم على إعادة عبارة أو جملة اسمية أو خبرية ليكسب النص المكرر صبغة الحالية وتدعو لتأكيد المعنى المراد إبرازه[1]. وانطلاقا من هذا سوف نعطي بعض الأمثلة من حقل المراثي، ونستخرج التكرار من بعض قصائده مع تحديد نوعه. يقول الشاعر في قصيدة رثاء النيل حافظ إبراهيم[2]:

يـا مـوت فاجـأت مـن لـو ضـفت سـاحته مهـــلا لوفـــاك ترحيبـــا واكبـــارا
وطبـــت نـــزلا بـــأخلاق مهذبـــة أذكـى بهـا النـور للأضـياف لا النـارا
يـــا مـــوت عـــدت بـــنفس خصـــبة نبتـــت فيهـــا المبـــرات مثـــل الـــروض أنهـــار
وغلـــت ليثـــا بجنـــب النيـــل كـــان لـــه زأر بـــه أوســـع (التـــاميز) إنـــذارا
يـا مـوت طفـت مـن الأيـدي علـى عضـد فـذ وحطمـت فـي الأسـياف بتـارا

إن الشاعر كرر عبارة "يا موت" لأنه يخاطب الموت ويناديها أي يتحدث إليها، ويناديه الموت تعبيرا عن ألم وتحسر وقلق على فراق المرثي، وتعبيرا عن الضعف أمام ظاهرة الموت. ثم يقول الشاعر:

هـذا ابـن بـاديس الإمـام المرتضـى عبـد الحميـد إلـى حمـاك يصـير

نلاحظ هنا أن الشاعر قد كرر اسم الإمام مرتين ولقبه بالإمام مرة واحدة وباسم أبيه كلها تدل على شخص واحد ألا وهو "عبد الحميد ابن باديس". إنه تكرار هندسي يجدد معاني القصيدة التي تحتويها، وبشكل تدريجي متتالي حيث تتعالى إلى مكانة الإمام ابن باديس الذي يصفه الشاعر بالإمام المرتضى والعالم الفذ الذي كان للعقول منيرا، كما نلاحظ أن التكرار الأول "ابن باديس" مركزي والثاني متصل به ومعبر عنه فقد وقف الشاعر محمد العيد في هذا التكرار بالوصف مع ذكر مناقب الإمام الجيدين.

2/ب- الجناس:

يعد الجناس وسيلة متميزة لما تجتمع فيه من قوة التأثير المختلفة على الوزن عن طريق الجرس وعلى الجرس وعن طريق تشابه الحروف وعلى الخط عن طريق رسم الكلمات

---

[1]- أحمد حاجم الربيعي، صورة الرجل في شعر المرأة الأندلسية، ص289.
[2]- محمد العيد، الديوان، ص411.

وعلى الفعل عن طريق الإبهام والتورية "التي تتبع تشابه الكلمات والحروف على أن التفاعل بين هذه الجهات للفرق بين طرق وطرف في الجناس بل يؤكده ويعمقه عبر درجة قصوى من التفاعل بين الصوت والمعنى"[1]. والجناس نوعان: تام وناقص، فالتام ما اتفقت فيه الكلمات من حيث نوع الحروف وعددها وترتيبها وضبطها بالشكل، والجناس الناقص ما نقص منه أحد الشروط الأربعة المذكورة. يقول الشاعر في رثاء فتاة منتحرة"[2]:

صـــدمتك مـــن وادي الرمـــال صـــخوره وطـــواك منـــه لـــدى الهـــوى هـــواء

ويقول في بيت آخر[3]:

وفجيعـــة بـــك يـــا عـــروس وجيعـــة نكبـــت بهـــا الأهلـــون والقربـــاء

نلاحظ من خلال الأبيات أن الجناس أحدث نغما موسيقيا مميزا خلفه التماثل الصوتي وهو واضح من خلال هذه الأبيات في البيت الأول: (الهوى = هواء)، وفي البيت الثاني: (فجيعة = وجيعة) وفي البيت الثالث: (بؤسك = البؤساء).

وهي كلها جناس ناقص لا توجد فيه كلفة سهل وغير معقد كما أنه استعمل الألفاظ الحزينة المؤلمة للتعبير عن شعوره بفراق هاته الفتاة التي هي من أحد الأسر الإصلاحية ألم بها طغى فيه اليأس على الرجاء والهوى على العقل. كما يقول الشاعر في قصيدة أخرى "يا قبر"[4]:

يـــا قبـــر طبـــت وطـــاب فيـــك عبيـــر هـــل أنـــت بالضـــيف العزيـــز خبيـــر؟
هـــذا (ابـــن بـــاديس) الإمـــام المرتضـــى (عبـــد الحميـــد) إلـــى حمـــاك يصـــير
بعـــث الجزائـــر بعـــد طـــول ســـباتها فالشـــعب فيهـــا بالحيـــاة بصـــير

نجد الجناس هنا في البيت الأول (عبير، خبير) وفي البيتين الثاني والثالث (بصير، يصير) نوعها جناس ناقص نلاحظ أن التجانس حدث بأركانه يؤثر في المتلقي من خلال

---

[1]- عمر خليفة بن إدريس، البنية الإيقاعية في شعر البحتري دراسة نقدية تحليلية، منشورات قاريونس، بنغازي، ليبيا، ط1، 2003م، ص201.
[2]- محمد العيد، الديوان، ص431.
[3]- المصدر نفسه، ص432.
[4]- المصدر نفسه، ص430.

السمع، كما نجد التماثل الصوتي للألفاظ مع اختلافها في المعنى وتكررت معظم الحروف في طرفي كل مثال وقد سمح هذا إبراز التفاعل بين الكلمات هذا التفاعل لا يتم بمعزل عن المعنى الذي يريده الشاعر وفي حالته النفسية في لحظة ميلاد القصيدة والحقيقة أن الشاعر يشعر ببعض الطرب إزاء أبيات كهذه، فهو نسج هذا الكلام بهذه الطريقة ليحدث نغما موسيقيا على مستوى قصيدة أو هذه المقطوعة فجاءت معظم جناساته بشكل تلقائي.

3- التصريع:

هو توافق نهايتي الشطرين في بين الشعر الواحد "المصراعين" وبقافية متشابهة وغالبا ما يكون ذلك في مطلع القصائد تميزا للقصيدة عن غيرها ويعرف من الشطر الأول روي القصيدة وقافيتها والتصريع تكرار حرفي يقوي النغم[1]. ومن أمثلة ذلك مطلع قصيدة يا قبر[2]

يـــا قبـــر طبـــت وطـــاب فيـــك عبيـــر هـــل أنـــت بالضـــيف العزيـــز خبيـــر؟

ما نلاحظه هو أن التصريع جاء في البيت الأول من هذه القصيدة (عبير= خبير)، إن أكثر ما يهمنا في التصريع هو طابعه الموسيقي الذي أساسه تماثل الضرب والعروض في الروي والوزن والحركة الإعرابية، وهذه القصيدة تمثل ما للتصريع من وقع موسيقي وخاصة عندما يتحقق توازن المصراعين كما هو ظاهر في بيت القصيدة أعطى طاقة إضافية للأبيات انعكس على القصيدة.

كل هذه العناصر (الجناس، التكرار، التصريع..) أحدثت نغما موسيقيا من خلال تجانس الحروف والكلمات والعبارات وتوازنها وتتحقق من خلال تفاعل بين الألفاظ الموسيقية.

---

[1]- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية -المعاني البيان والبديع-، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2007م، ص293.
[2]- محمد العيد، الديوان، ص430.

الخاتمة

الخاتمة:

أبدع الشاعر في غرض الرثاء مثله مثل الأغراض الأخرى، من حيث المبني ومن حيث المعنى.

جاءت عواطفه جياشة صادقة، لم يتكلف فيها معنى، ولم يتصنع لفظا، بل جاءت عفوا دونما تكلف.

إن توظيف محمد العيد آل خليفة للرثاء في شعره ذو دلالة وهدف ومغزى سعى إليه الشاعر بوصفه أداة شعرية تعبر عن مشاعر وقرائح وأحاسيس الشعراء، والغالب أنه كان يدخل الرثاء مباشرة لحزنه الشديد والتموجات العاطفية الحادة في نفسه فتجري الكلمات في مجرى عاطفي حزين فيستهل رثاءه بما يظهره ويكنه من حزن على المرثي.

ولم يكن رثاء الشاعر محمد العيد آل خليفة بمفهوم الرثاء القديم المرتبط بالعلاقات الذاتية وإنما هو عنده مرتبط بأسباب موضوعية والمتمثلة في منزلة المرثي وما قدمه لأمته، لذلك.

لم يرث الشاعر إلا زعماء كان لهم الفضل على الوطن والأمة، فقد رثى صديقه رشيد بطحوش أحد أعضاء الجمعية منوها بأعماله ورثى فتاة منتحرة وجعل منها عبرة للآخرين، كما رثى شعراء كبار أمثال حافظ إبراهيم وأحمد شوقي لما كان لهما من فضل على اللغة والأدب العربيين ورثى الزعماء "الأمير خالد، وغازي الأول" ملك العراق كما رثى بعد الاستقلال رائد الثقافة العربية بالجزائر "محمد البشير الإبراهيمي"،

كما أن محمد العيد آل خليفة من الشعراء الذين رافق شعرهم النهضة الجزائرية في جميع مراحلها، وهو شاعر مستكمل الأدوات، متين التركيب، فحل الأسلوب، لبق في تصريف الألفاظ، بارع الصنعة.

الثابت لدينا انه أنتج ثلاث عشرة قصيدة، تتراوح بين الطويلة والقصيرة، حسب عواطفه، ومكانة المرثي منه، سهلة اللغة واضحة، عفوية صادقة.

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع:

1) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ط2، 1952هـ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر.
2) إبراهيم ناجي، الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، دط، 1991م.
3) إحسان عباس، شعر الخوارج، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دط، دتط.
4) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في أدبيات وإنشاء لغة العرب، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.
5) أحمد حاجم الربيعي، صورة الرجل في شعر المرأة الأندلسية، دار غيداء، الأردن، ط1، 2013م.
6) إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1997م.
7) بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البيان، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984م.
8) جبور عبد النور، المعجم العربي دار العالم للملايين، بيروت، لبنان، دط، دت.
9) حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، شرح وتقديم عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994م.
10) حسني عبد الجليل يوسف، التصوير البياني بين القدامى والمحدثين، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، دط، دت.
11) الخزاعي أبو الشيص، أشعار أبي الشيص الخزاعي، تحقيق عبد الله الجبوري، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، العراق، دط، 1967م.
12) الخليل ابن أحمد الفراهيدي، العين، تحليل عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
13) الخنساء تماضر بن عمرو، ديوان الخنساء، شرح حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004م.
14) الدماميني بدر الدين، العيون الغامرة على الخبايا الرامزة، تحليل الحسان عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1973م.
15) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1987م.
16) سامي مكي العاني، الإسلام والشعر، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دت، دط.
17) أبو سعود سلامة، الإيقاع في الشعر العربي، دار الوفاء للدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، دط، دت.

18) شوقي ضيف، فنون الأدب العربي الفن الغنائي2 الرثاء، دار المعارف، مصر، دط، دتط.
19) عبد الحميد السيد ابن عبد الحميد، الطريق المعبد إلى علمي الخليل ابن أحمد إلى العروض والقافية، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ط1، 2001م.
20) عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، سوريا، والدار الشامية، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.
21) عبد الرشيد عبد العزيز سالم، شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1982.
22) عبد الرشيد عبد العزيز مسلم، شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم.
23) عبد السلام المساوي، البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 1944م.
24) عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، دط، 1987م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
25) عبد القادر شريط، فن رثاء المدن في الشعر المغربي القديم حتى نهاية ق5هـ، رسالة ماجيستر، إشراف محمد الأخضر الزاوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2005-2006م.
26) عبد اللطيف عيسى، شعر الرثاء في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، دار غيداء، الأردن، دط، دتط.
27) عمر خليفة بن إدريس، البنية الإيقاعية في شعر البحتري دراسة نقدية تحليلية، منشورات قاريونس، بنغازي، ليبيا، ط1، 2003م.
28) فايز عارف الفزعان، في بلاغة الضمير والتكرار -دراسات في النص العذري-، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2010م.
29) فؤاد أفرام البستاني، الشعر الجاهلي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، دط، 1927.
30) فوزية لعويجي، توظيف الرمز في شعر محمد العيد آل خليفة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، تخصص أدب جزائري، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2016م.
31) مالك بن الريب، ديوان مالك بن الريب حياته وشعره، تحقيق نوري حمودي القيسي، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية.
32) محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.
33) محمد العيد آل خليفة، الديوان، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزاء، ج1، 2010م.
34) محمد بن حسين بن عثمان، المرشد الوافي في العروض والقوافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، لبنان، ط1، 2004م.

35) محمد بن سمينة، محمد العيد آل خلفية، دراسة تحليلية لحياته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م.

36) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، لبنان.

37) محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط3، 1997م.

38) محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2010م.

39) محمد سلطاني، الميسر من علوم البلاغة والعروض، دار عصماء للطباعة والنشر، سوريا، ط1، 2018م.

40) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1990م.

41) محمد عبد المطلب، قراءة ثانية في شعر امرئ القيس، الشركة المصرية العالمية لونج مان، مصر، دط، 1976م.

42) محمد مصطفى هدارة، علم البيان في البلاغة العربية، دار العلوم العربية، البيروت، ط1، 1989م، ص69.

43) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992م.

44) محمود سامي البارودي، ديوان البارودي، تحقيق وضبط وشرح علي الجارم وآخر، دار العودة، بيروت، لبنان.

45) يحياوي الطاهر، توامي محمد، شعراء وملامح، مطبعة أمزيان الجزائر، ط1، 1984م.

46) يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية –المعاني البيان والبديع–، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2007م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة: ..... أ
الفصل الأول: مفاهيم أولية..... 7
المبحث الأول: ترجمة الشاعر..... 7
1- مولده ونسبه 7
2- تعلمه..... 7
3- رحلته العلمية إلى تونس:..... 8
4- نبوغه الشعري:..... 8
5- جهاده: 9
6- آثاره: 9
المبحث الثاني: فن الرثاء 10
1- تعريفه: 10
2- تطور غرض الرثاء: 10
1/2- الرثاء في العصر الجاهلي:.....10
2/2- الرثاء في صدر الإسلام:.....11
3/2- الرثاء في العصر الأموي:.....12
4/2- الرثاء في العصر العباسي:.....13
5/2- الرثاء في العصر الأندلسي:.....14
6/2- الرثاء في العصر الحديث: 15
المبحث الثالث: المدونة: (المراثي) 17
الفصل الثاني: الدراسة الفنية 35
المبحث الأول: دراسة المضامين 35
1/ مضامين مرثيات العلماء والأدباء:.....35
2/ مضامين مرثيات الشهداء: 36
3/ مضامين مرثيات الشعراء: 37
4/ مضامين مرثيات الحكام والسلاطين: 37

5/ مضامين مرثيات الأصدقاء: 38
6/ مضامين مرثيات العامة: 38
المبحث الثاني: المعجم والأسلوب 40
1/ المعجم اللغوي 40
1/1- حقل الموت: 40
2/1- حق الحزن: 41
3/1- حقل مدح الميت: 41
4/1- حقل الطبيعة: 41
5/1- حقل الدعاء والصبر: 42
2- الأسلوب: 42
1/2- الأسلوب الخبري: 43
2/2- الأسلوب الإنشائي: 43
المبحث الثالث: الصور والرموز 45
1/ الصور: 45
2/1- الاستعارة: 45
3/1- الكناية: 47
2/ المجاز المرسل: 47
2- الرموز: 48
1/2- الرمز الطبيعي: 48
2- الرمز الديني: 49
الرمز الصوفي: 49
المبحث الرابع: موسيقى المراثي 51
1- الموسيقى الخارجية: 51
1/أ- الوزن: 51
1/ب- القافية: 52
1/ج- حرف الروي: 52

1/د- الزحافات: 53
1/هـ العلل: 54
2/ الموسيقى الداخلية: 54
2/أ- التكرار: 54
2/ب- الجناس: 56
3- التصريع: 58
الخاتمة: 60
فهرس المصادر والمراجع: 62
فهرس المحتويات 66
الملخص: 70

الملخص

الملخص:

يتناول هذا البحث الرثاء في ديوان " محمد أل خليفة "_دراسة فنية _فقامت هده الدراسة على فصلين، الفصل الأول نظري يصف حياة الشاعر بصفة عامة ثم فن الرثاء وتطوره الذي مر بمراحل، أما الفصل الثاني تطبيقي كان بعنوان: دراسة فنية لقصائد الرثاء في ديوان "محمد العيد " حيث تناولنا أربعة مباحث درسنا في المبحث الأول والثاني مضامين الرثاء والمعجم والأسلوب، أما المبحث الثالث والرابع فتناولنا فيه الصور والرموز وموسيقى المراثي، ثم جاءت الخاتمة لتبين أهم النتائج منها إبداع الشاعر في غرض الرثاء وتبيان صدق عاطفته الجياشة، فيتصل رثائه بما يظهره من حزن على المراثي.

summary

.. The present research deals with elegy in the Book of poetry by Mohammed laid-El khalifa- Artistic Study- this study is divided into two chapters, the first one merely the life of the poet in general, then the art of elegy and it's stages of developpement , as for the second one is practical , entitled.

Artistic study of elegiac poem in Book of poetry by Mohammed laid, where we dealt with four topics, we examined in the first and the second ones the contents of elgey, lexis and style , while in the third and the fourth ones we tackled the images, symbols and music of elegy, the conclusion Comes to Show the main findings including the poet's creativity, in the topic of elegy, show the sincerity of his affections where his elegiac poet connects to the sadness he show on the person cried on Enterer.